المهدي نقوس

صنائع من نوبة عراق العجب

متواليات قصصية

منشورات منتدى مطر

شكر

أتقدم بالشكر الجزيل وعظيم الاحترام والتقدير إلى جميع رفاق الكلمة بمنتدى مطر على الجهود الكبيرة التي بدلوها من أجل إخراج هذه النصوص إلى النور.

إهداء

إلى إخوتي بمنتدى مطر
إلى أصدقائي جميعهم
إلى عائلتي وأهلي كل واحد باسمه
أهدي هذه الأضمومة الاولى

" مُتنكراً أوّد أن أجلس أنا أيضاً بينكم. كي لا أتعرّف عليكم وعلى نفسي.
إذ هذهِ هي حيلتي البشريّة الأخيرة! .."

هكذا تكلّم زرادشت - نيتشه

تقديم

يقول المهدي بن المحجوب بن زيدان أنه عقد العزم على إصدار هذه الكناشة وسماها صنائع من نوبة عراق العجب دون فيها ما وصل إلى تقييده من حكايات وقصص واستبصار في مسائل وأخيلة وشجون تتوخى الخوض فيما يتصل بشؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأمور العيش وأحوال الناس وسعيهم ومعاناتهم ومآسيهم وفقرهم في زمانه مما يستحب قراءته ويستوجب الإفادة منه ليطلع عليها أهل الأزمنة المتأخرة من دون الخروج عن جادة المعقول والصواب ولا المساس بعرض إنسان بالتقريظ والامتداح أو الذم والتجريح والطعن في المعتقدات والعبادات وأي شبه بين أشخاصها وأحداثها وأماكنها مع أماكن وأحداث وأشخاص حقيقيين هو مقصود، وقد وكل أمر طبعها كتابا في قرطاس لأهل العرفان من الخلان والأصفياء والفضلاء بمنتدى مطر الخير الذين بسطوا لي مهاد المعاونة عسى أن تقع موقع القبول لدى جمهرة المتأدبين وعموم المهتمين بشؤون الفكر وصنعة الكتابة.

المهدي نقوس
اليوسفية في 22 – 06 - 2014

البحث عن عباس

"جبال الكحل.. تفنيها المراود"
وردية ليل - إبراهيم أصلان

-1-

العشية عشات والليل راح
محلى اللغا يدور بين الملاح
الورد اعطى ريحتو والذات ما زالت حزينة
والدم جف والذات يا حسرة ما زالت حزينة
يا ناس وما انتوما ناس
يالزايدين المهموم في همو
يالمعاونين الظالم على ظلمو..(1)

-2-

تشرب قهوتك يا عباس - قهوة سوداء كالليل مع قليل من السكر، أنت لا تعشق سوى ذلك.. لأن كأسا مترعة بالسائل الأسود، بعد ساعات العمل المضني، تجعلك بمنتهى الخفة والرشاقة.. تبيد ما تحس به من هموم وما ترسب في أعماقك من آهات.. أنت تعرف السبب طبعا يا عباس.. فما أكثر ما تتجرع من هموم من إشراقة الشمس إلى إشراقتها، لكن أشد ما يثير الدهشة هو أنك تذبل بدل من أن تشحن وتمتلئ كالزكيبة..

- ما معنى أن يجلس المرء إلى طاولة بأقصى ركن في مقهى؟

- ما معنى أن يرفع عقيرته بالصياح.. يقرأ الجريدة اليومية ويناقش أخبارا سياسية مهمومة ويعلق ببرودة أعصاب ويتفرج على حشود المارة ويلحس ببؤبؤ عينيه مؤخرات الفتيات...؟
- آه ما أجمل الفتيات

أنت متيقن من أن أغلبية المارة لا هم لهم سوى متابعة الفتيات والنسوة.. بنات بائسات جميلات رشيقات ممتلئات الأرداف بالشحم واللحم متوردات الخدود والوجنات..

- ما معنى التفرج على الصبايا العرايا بأسمالهن البالية وأكتافهن وأعضائهن الشبه عارية وسحناتهن الطينية وإمطار المارة بسيل من الشتائم والسباب..؟
- ما معنى أن تجيب العالم بألف خير، الدنيا بخير وأنت تموت فقرا؟
- كذب المنجمون ولو صدقوا..
- ما معنى أن تجيب بطريقة ببغاوية لا بأس الكل بخير.. وأنت تعيش في هذه الدنيا تحتضن بؤسك في وقار، يغتالك بمهارة مع سبق الإصرار والترصد وتحنو عليه..؟
- كاد الفقر أن يكون كفرا..
- لو كان الفقر رجلا لقتلته..

هكذا لقنوك عندما كنت تلتصق بخشب المدارس.. لكن الفقر ليس رجلا يا عباس ولا حتى امرأة، إنه جبار مارد بشجرة قرون متفرعة فروعها ذاتك وجذورها أجداد أجدادك.. ويمتد منك إلى أكواخ القصدير الصدئة جنوبا حيث تتقيأ المدينة زبالتها.. وحيث يتخلى الهواء عن حمولته المنعشة.. يمتد من بائعي التقسيط إلى بائعي النعناع والمتلاشيات إلى بائعات الهوى..

إن أشد ما تكرهه في بلادك يا عباس بائعات الهوى.. ليس تعاليا ولكن شفقة على أحياء يأكلون ذواتهم..

(التريبونيم بال) يمتلك شاربين طويلين يعقفهما ويتدلل عارضا عضلاته بأجسادهن... أنت حينما تقول هذا إنما تسترجع مأساتك مع الزهري وحقنات الإكستنسلين 24000 المؤلمة..

لكن الفقر ليس رجلا يا عباس ولا حتى امرأة.. وليس الوحيد الذي يضيق علينا الخناق، بل انعدام الحرية أيضا..

إن الحياة جميلة، لكن حينما نساوم من أجل اللقمة والحرية والمساواة والعدالة ومن أجل كرامتنا، تفقد الحياة حلاوتها وتبدأ عملية لف حلزونية تسقطنا في جحيم العدمية تحرقنا تذيبنا وتفنينا.. هكذا يدفع الفقر الأغنياء لافتراس المستضعفين وشرب دمائهم الجارية بشبكة العروق..

-3-

(أتمنى لو أن أحدا يشرح لي كيف أن الذين يملكون الأرض بكاملها يملكون كذلك الذهب.. أنا عندما أشتري رغيف خبز أعطي قروشي الستة للخباز. ولو احتفظت بها لنعتوني بالسارق..)

-4-

هكذا أنت دائما يا عباس، حينما تختلط عليك الأمور، تضع رأسك بين راحتيك، تعتصره تطرق للأرض ، تتحسر تتمزق أسى ولوعة .. تنفث آهات تلعن هذا العالم الموبوء .. تعبس بوجهه تنفخ في الهواء الرطب ، تهرب بنفسك من ضجيج المدينة ، تدخل دروبا حلزونية يفتض بكارتها ضوء شاحب أصفر يطلي الجدران كالبيض المفقوس ويحيله كوجه شبح مسلول..

تهرب من ضجيج هذا العالم المفتعل، تنسل من ظلالك الواهية الرخوة المتواطئة مع الفقر تهرب وتنغمس في الظلمة..

- 5-

أثمان اللحوم سنة 1980
لحم الغنم 25 درهما
لحم البقر 27 درهما
لحم الدجاج 8 دراهم
سمك السردين 3 دراهم

أثمان اللحوم سنة 2006
لحم الغنم 50 درهما
لحم البقر 65 درهما
لحم الدجاج 15 درهما
سمك السردين 6 دراهم

-6-

تدمع عيناك يا عباس حزنا وتفرح ، لأن الباعة يدافعون وبأشكال عشوائية عن حق من حقوقهم من أجل العيش الكريم ، وتبقى أنت خارج اللعبة قابعا تحت الجدران يمتصك الظل ويزملك الصمت..

أنت لا تأكل إلا لحم الشاة أو لحم الضـأن عندما تشتهي لحم الخروف..
ولا تأكل إلا لحم الجمل عندما تود لحم البقر

لكن غالبا ما تأكل لحوم الحمير والكلاب والقطط
لكم أنت سيء الحظ يا صديقي..
لكم أنت سيء الحظ يا هذا..
وتقضي وقتك في لعن الوقت وأولئك الذين يعيشون في الفيلات ، يركبون السيارات الفخمة يدخنون البيب ويحتسون الويسكي
وتسكن أنت الكوخ
وتركب عربات الحمير وسيارات الأجرة
وتدخن أرخص أنواع التبغ وتشرب الشاي والخمر الرديء
وتحتفظ لهم على الطاقة الثمينة لتتجمد أطرافك بفعل برد الشتاء القارص..
وتضيف المزيد من الدهن إلى إلية الخروف.
هل هناك إخلاص أعمق للوطن من هذا..
لكم أنت مخلص للوطن يا ابن أمي..
لكم أنت صادق الإخلاص يا هذا..

-7-

(تضمن الدولة ما تجده قائما، للبعض ثرواتهم وللبعض الآخر فقرهم.. للبعض الحرية القائمة على الملكية وللبعض الآخر العبودية النتيجة الحتمية لبؤسهم..)

-8-

أثمان الذهب
سوق لندن 850 دولارا
سوق زيوريخ 842 دولارا
سوق هونغ كونغ 856 دولارا
لوحظ تهافت الزبائن على مكاتب الصرافة والبنوك التي يبقي بعضها مفتوحا إلى آخر منتصف الليل والناس جد متخوفين من نشوب حرب كونية ثالثة..(3)

-9-

تحزن يا عباس تمشي نحو البحر تغد السير دون التفات.. أمامك الموج يعلو بتطاول وشموخ.. يتسابق كقطعان أفراس جامحة.. تندفع بقوة تنطلق تتطاير فتحجب الأفق البعيد.. ووراءك هموم الدنيا الغلاء الحروب الرشوة العطالة التخلف تلهب ظهرك كالسياط..
سطح اليم يتموج بخفة.. اليم عميق ما له قرار.. والأرض منبسطة عالية مسطحة واسعة طويلة وعريضة.. هكذا حدثنا السندباد.. في الأعماق الذهب

والحديد واللؤلؤ والمرجان والمحار والعنبر والحوت الذي ابتلع يونس، وفوقها الجبال والوديان والسهول والغابات والصحاري وسبع سماوات طباقا.. تخطو يا عباس، ينساب الماء تحت رجليك يتطاير رشاشا حواليك، تؤلمك الملوحة في جراح الجسد المهزول.. تتنامى إلى خياشيمك روائح لمزيج من النفايات، ملح زنخ وسمك مغدور.. زيت محروق نفط وأزبال.. تنتابك قشعريرة مريرة لملامسة المياه الباردة، لكن يشجعك إيمانك الراسخ بقوة وفعالية الإنسان الكامن بأعماقك، بخلق جيل جديد ذي ملامح بطولية.. جيل مناقض لأجيال الذل والهزائم والخيانة والجبن وبيع الخيرات والمتاجرة في الأعراض والأوطان.. جيل الشيوخ والتواريخ المدنسة والمسمومة والمؤامرات والدسائس والخذلان..

جيلك يا عباس كالنعام، ما إن يحيق به مكروه، حتى يسارع إلى عقد مؤتمرات / مؤامرات يساعد بها على تعميق الهوة.. هوة الشقاق ونكء الجراح القديمة والجديدة الغائرة بوجه التاريخ كالبراز..

جيلك يا عباس جيل الوصاية والحكم الواحد الأحد والكذب والبهتان والابتزاز والسرقات والزنازين والرصاص..

لكم أنت سيء الحظ يا صاحبي..

لكم أنت سيء الحظ يا هذا...

تخطو يا عباس نحو اللجة.. تشرع في عملية العلو والهبوط، تنبسط أمام ناظريك صفحة الماء، ثم ما يلبث أن يغيب.. تضرب الماء بكلتي يديك ، تستهويك عملية الضرب.. ترغب في شق طريق بين جحافل الأمواج.. تتعب يداك لكن الماء حينما يتوالى عليه الضرب، لا يزداد سوى صلابة ويتخذ شكلا حجريا..

تخطو يا عباس لكن نحو أسفل.. وتبدأ عملية التساوي والمزاوجة.. تتماهى أمامك صفحة السماء الداكنة بلون الغروب بصفحة اليم الرصاصي المترامي الأطراف بطيف الضفة .. يختلط عليك صياح النوارس المتطايرة بخفة فوق رأسك بنعيق الغربان المتربصة بالجيف بهدير الموج برقص الحيتان في الأعماق.. وتمتلئ بطنك بالماء المالح... ثم تتوالى الألوان متخذة أشكالا شبيهة بحمولات ضد سعال مزمن بيضاء، وسوداء، وصفراء، وزرقاء، وحمراء ووو.. ثم تتخذ الحمولات مباشرة أشكال نجوم في عز الظهيرة.. يتسارع التداخل والتلون كأنك مصاب بعمى الألوان.. يتوحد اللون نهائيا ويبهت ثم يغمى عليك.. وينتهي المشهد بإطفاء الألوان وإسدال ستائر الماء.. وتتبخر الأحلام إلى الضفة الأخرى..

لكم أنت سيء الحظ يا عبس..

لكم الوطن ظالم وقاس يا هذا..

-10-

الخبز لا يسمن ولا يغني من جوع..
الشاي لا يغني ولا يسمن من جوع..
البصارة تلخشة الفول العدس لا يغني ولا يسمن من جوع..
الصبر لا تسمن ولا تغني من جوع..
وحدها الحرية التي تسمن وتغني عن كل جوع..
تحل مشاكلك بما هو أكثر إشكالا.. خير لك لو بقيت جاهلا تنام مبكرا تناقش أمورا بالغة التفاهة.. تدخر ثمن الكتب والمجلات والجرائد.. وتوفر الفلس الأبيض ليومك الأسود.. وتدخر ثمن العيش في المستوى الملائم..
لكم هي قاسية جدا هذه الحياة..
لكم هي قاسية حقا يا هذا..

-11-

(الجهل هو الذي يصنع القانعين.. ويكفي إذن القول إن الفن ينبغي له أن يصنع المتمردين..)

-12-

- رسالة إلى إنسان

من السيد عباس.. أول السيل وآخر أجراس الصحو أنت.. أول التذكر والتفكر أنت.. وأول التنكر هم الذين يشعلون نيران الفتنة و" السيبة " ، يحرقون الغابات يفقئون كبرياء السمعة ويلوثون صفاء الدمعة.. يدحرجون الشمس إلى مرافئ الغروب.. يطمسون وجهها اللجيني ويصادرون دفئها.. ويمنعونها من ملامسة أجساد الأطفال ووجه المدى وملاطفة الندى..

يا أهل هذا العالم اشهدوا أن ديارنا تسرق، وأن متاعنا يحرق وأن أرواحنا تزهق، وأن دماءنا يمتصها كهنة العصر باسم آل النبي.. الكهنة الحواريون المغتسلون بماء السياسة..

ألا إن الاغتسال بماء السياسة لموضة العصر، يبري الجسد يشهره مسدسا بوجه كل الأزقة..

ألا إن الاغتسال بماء السياسة من أخبث الأقنعة، يخفي تجاعيد العالم، ويعلم الشهادة بأن لا إله سوى الدولار..

لا إله سوى البترودولار..
إله هو البترودولار..

البترودولار..
البترول والدولار..(4)

-13-

- كشف الالتباس عن عباس

- **س**

ما سبب حيرتك يا عبس؟

- **ج**

تقلص الحريات في مجتمع ينادون فيه جهرا بحقوق الإنسان.

- **س**

ثم ماذا؟

- **ج**

تشرد الأطفال وضياعهم في السنة الدولية للطفل.. المجلات ما أقذرها وهي تطالعك بصور زاهية وعناوين جميلة عن ذلك الطفل.. إنه يا سادتي يريد قطع حلوى وكعك ودفق حنان.. يريد لعبا ومدارس ولا يريد التمجيد والحبر الأسود..

- **س**

ثم ماذا؟

ج

النسوة يطالبن بحقوقهن.. يرين حريتهن في تغيير ملابسهن دون أفكارهن..

- **س**

ثم ماذا؟

وتنفس الصباح فكف عباس عن الكلام النباح..

-14-

المؤتمرات العربية هراء..
الجامعة العربية عراء..
الحدود العربية خراء..
ويل للثورات المصطنعة لأن جاري لم يجد ما يسد به رمقه..
عاشت المنظمة العالمية للصحة..
عاشت اليونسكو..
المجد للكلاشنكوف..

نطلب من وكالة غوث اللاجئين أن تمنح أوطانا، وأن تكف عن إعطاء الحليب المجفف والصبر المعلب..

- 1912 - 1917 - 1936 - 1948 -
- 1956 - 1967 - 1973 - 1979 - 1982 -

سايكس بيكو
كامب دايفد..
معاهدات الصلح..
الأرض مقابل السلام..
أمراء البترول العربي..
اِحتلال فلسطين..
بيع الثروات العربية..

-15-

عبيد الصنك المعبود يا قلوب الحجر/
قلوب طايشة مليانة بالغدر/
سلسلتوا القبور ها الحق ها المنكر
الخز للصخر من هم البحر شكا/
والرياح العاصفة هاجرت البرق والرعد
ما بين صخرة جامدة وعوافي زاندة وصهد الريح هامدة
هذا بمهمازو ينغز/
هذا ما يرد عليه
لا دوا يداوي حسبت عشرة وعشرة وعرفتها شحال تساوي/
قرن العشرين هذا عايشين عيشة الدبانة في البطانة
را الفرق اعظيم بين التفاح والرمانة/
واش من فرق بين أنت وأنت وأنا
حال الحال يا أهل الحال/ واللي ما فيه الحال يذبال/ **(5)**

-16-

- بحث عن متغيب

يسأل السيد ..... عن صديقه عباس الذي تغيب عن منزله منذ أيام، وفي ظروف بالغة الغموض..
من أوصافه الصمت والجلوس في المقاعد الخلفية الأشجار الاخضرار العصافير الأطفال الهواء الطلق طائرات المسافرين والغواصات.. والشعر وإن كان قد أبدى عزوفه منه لما آل إليه هذا الشعر المسكين على أيدي المتشاعرين..
المرجو ممن يعرف عنه شيئا أن يخبر السيد أعلاه وشكرا..

-17-

بلاغ من وزارة الصيد البحري

تبعا لما سبق الإعلان عنه مؤخرا بشأن اختفاء المدعو عباس.. فإنه قد تم العثور على جثة يشتبه في أنها للمعني بالأمر رماها البحر مع نفاياته..
وقد أحيلت الجثة على لجنة الطب الشرعي، تبعا للقانون الصادر بالجريدة الرسمية وإثر الفحوصات والتشريح تبث ثبوتا شرعيا أن السيد عباس قد اغتيل تحت وطأة هموم جسام وهو يحاول عبور البحر إلى العدوة الأخرى، نظرا للصورة التي آل إليها العالم من بطالة وفقر وأزمات اقتصادية خانقة..
هذا وقد أصدرت هيأة الأطباء بيانا يطالبون فيه برفع أجورهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية..

-18-

- قول على قول

- سألني سائل عن معنى اسم وأصل عباس..؟
- هذا اسم لرجل يدعى عباس ويرجح أن يكون ذا علاقة بعباس بن فرناس، عاش في البلاد العربية أيام حكم الطوائف الجدد في الشق الأخير من القرن العشرين وبداية الفقر الواحد والعشرين.. والتي ابتدأت بهزائم العرب المتتالية سنوات 48 - 67 - 73 ... كان العرب قد انحدروا إلى أسفل درك وعاشوا على الأمجاد.. أمجاد السلف الصالح.. وظهرت أسطورة ذلك العربي الملحاح السفاح الذباح المداح المكنى بأبي جهل ذي اللحية الكثة والعقال والسيف والمرسيديس، والذي طفق يجول في شوارع نيويورك ولندن وباريس دالقا لسانه كالكلب ناثرا النفط بعد أن يحوله توا إلى دولار..
- زه أعطه مائة ألف دولار..

ويقول النحاة المعاصرون له إن عباس مبتدأ وفرناس خبر، ويضيف البعض أن فرناس من التفرنس والله أعلم.. لكن الألسنيين والمؤرخين غير الرسميين يؤكدون عكس ذلك.. ويقولون إن فرناس أصلها من فرنس يفرنس أي ضحك يضحك.. وفرناس تعني بالحرف الفصيح الرأس المحروق المتبسم.. لذا تورد تقارير الشرطة القضائية والسرية أن عباس لما لفظته أمواج البحر كانت شفتاه تفتران عن ابتسامة خبيثة بها الكثير من المكر والدهاء، وأول ما عمدوا إليه هو قمع تلك الابتسامة، لكن عباس ظل يعاود الابتسامة من جديد وبشكل أكثر وقاحة...

المصادر المعتمد عليها:

1- أغنية تغنجا لفرقة ناس الغيوان
2- الفقرات المتضمنة بين قوسين من مجلة مواقف ع78/32 وهي كالتالي:
- موريس لوكاليل
- باكونين
- بللوتين

* إذا ما جرى تكييف هذا المثل المغربي الدارج مع العربية، هذا ما قد يعطيه: "إضافة المزيد من الدهن إلى إلية خروفٍ مسمَّن".

3- أثمان الذهب من نشرات الأخبار لإذاعة البي بي سي
4- الرسالة من الأرشيف السري للسيد عباس
5- أغنية ناس الغيوان الفرقة الشعبية الشهيرة.

* نشرت القصة بمجلة الطليعة الأدبية العراقية سنة 1980 ، وحولت لفيلم قصير لصالح الاتحاد الوطني لطلبة العراق بكلية الآداب فرع البصرة.

تغريبة الفتى عباس الثاني

(ما بالهم حين مررت
كشروا عن أنيابهم
ثم مضوا لا يرجعون..
ما بالهم
لم يبق منهم في المدى
سوى صدى نباح..)
محمد الخمار الكنوني - ديوان رماد هسبرس

ها هي المدينة أخيرا..
المدينة التي طالما سمعت عنها..
عفريت بالليل وغول بالنهار..
أرصفة وجدران مقروءة بالعيون واللواحظ ..
وصلت إليها هذا الصباح..
هذا الصباح فقط وصلت ونزلت من الحافلة في محطة هذه المدينة.. لم أكن أرغب بزيارتها لكني أتيتها مكرها.. مخلفا ورائي قريتي الملغاة من تخطيطات الخرائط.. تسوقني قطعان أحلامي الندية.. وأحمل فوزي المبين بعد أن ودعت إخوتي وهم يزدردون صبرهم.. وأمي وقد علقت بعنقي تميمة من صوف الأنعام.. وأبي ما فتئ يردد على مسامعي ضرورة الاحتراس من مقالب اللصوص والنشالين حتى وهو يلوح للحافلة بعمامته.. تحسست جيوبي.. أشيائي في مكانها.. الأشياء هنا تختفي كالفقاقيع.. الألوان باهتة.. والأضواء تخطف الأبصار.. الكثير ليس فيه بركة.. الخبز كالفخار.. والصحة صحة عدوك.. والصداقات صداقة ذئب.. الجار مجرور.. وظلم ذوي القربى أشد مضاضة.. الأحياء في عذاب.. والأموات أشد عذابا.. كل شيء بالمال.. التبول بقدر والخراء بضعفه.. عندنا كل شيء من دون مقابل.. الأكل والشراب والحب.. نأكل من هبة الطبيعة ونرتوي من ماء النبع.. ومراحيضنا الفلوات والمزارع والمنعطفات.. أسخياء نحن.. ما يطعم عشرة يكفي لعشرين.. وكل من تصادفه يستقبلك باحتفالية

نادرة.. حتى كلابنا تعترضك بحفاوة بالغة ، هي هنا لها أسماء ومربوطة بسلاسل ثمينة وتأكل أحسن منا...
الساعة الآن السابعة صباحا.. وموعد المقابلة التاسعة.. أمامي ساعتان أتمشى خلالهما قليلا... أكتشف هذه المدينة التي طالما سمعت عن غرابة سلوك مسلميها.. بدأت التحرك.. كانت الشوارع تتحرك.. والساحات والحيطان والنواصي أيضا وأيضا.. عالم غريب مسكون بالهشاشة والارتجال والضجيج والترقب.. والمارة متأبطين شرورهم.. يغذون السير...
لا يكلون من المشي والنميمة والفضول..
لا يلتفتون..
ولا يتوقفون..
ولا يبالون..
يلتقون.. ويتصادمون..
يراوغون أوهامهم..
ويتشابكون..
ويسبون الملة والدين والذي خلق...
متعبون.. مغبرون.. ماكرون.. تعطلت لديهم لغة الكلام.. كأنما ورثوا هموم الدنيا.. يحدقون بأبصار طاعنة في الشرود.. لا يحملون مصابيح كما فعل الجد ديوجين الكلبي، لأنهم لا يبحثون عن الحقيقة.. ورواد المقاهي يحاصرونك ببلاهة النظرة ووضاعة القناعة.. غوغائيون.. ضوضائيون.. متعتعون بيانا وعلما.. راكبين رؤوسهم.. لا يشق لهم غبار.. يناقشون في الجنس والسياسة والدين والزرع والضرع.. وتعجبت كيف يمكن لشعب يقضي أفراده وقتهم في الكلام الفارغ أن ينتج ويتقدم.. ولم أصدق كيف تتعايش كل هذه المتناقضات في هذا الحيز الضيق من الأرض، لا شك أنهم يحيون على المصائب والمكائد والدسائس والبخل والرياء، ولم أعتقد يوما بأن الاختراعات والثورات تخرج من المقاهي..
وصلت إلى وسط المدينة.. لم يكن لها قلب.. فقط مدائن فوق مدائن فوق مدائن.. على واجهاتها أضواء ملونة تضيء وتنطفئ.. والباعة يعرضون أكواما من السلع والمأكولات لم أشاهد مثلها في حياتي.. فلت في سريرتي على طريقة الدراويش والمتصوفة والنساك والمهابيل وأهل الكرامات - مواعيدنا الجنة – وخاطبتها
(اِصرِف فُؤادَك يا عباس ملتفتا عنها)
اكتفيت بالنظر.
وانِبتلعت ريقي.. ومضيت لا ألوي على شيء..
دنوت من البناية.. قرأت العنوان على الصفيحة الجدارية.. قرأت العنوان على ظهر المظروف.. تحسست جيوبي.. ووقفت مشدوها أرنو لشموخ الطوابق..

لاحظت تناسق المعمار قلت يخلق من الشبه أربعين.. وضحكت في دخيلتي من هذا الشبه العجيب والغريب... قلت أيها المزخرف من الظاهر كيف أخبارك من الباطن.. ورميت بجثتي.. طفقت أجوس عبر الممرات المعتمة.. والأدراج الملتوية التي تنتهي بعتمة.. كانت أبواب الحجرات موصدة.. ولم يكن ثمة ما يشي بالحياة.. فقط كتيبة من الصراصير توقع مارشا صراصيريا.. خلت أن اليوم يوم عطلة.. لكن إشراع أبواب العمارة والهمس والخشخشة وراء الجدران يشي عكس ذلك..

هممت بطرق الباب / أنا محسوبكم عباس / الذي لا يقيم دجاجة عن بيضها، هممت بطرق الباب.. رفعت يدي بتثاقل.. أفردت سبابتي وعقفتها.. كان قلبي يدق بعنف.. والدم يضج في العروق.. أحسه ساخنا ينداح عبر خلايا الجسد محدثا دوائر تحتضن دوائر كبركة دماء.. حاولت ضبط أنفاسي.. أنا الآن على مشارف ميادين القتال.. ومقبل على حرب ضارية لا هوادة فيها.. لا بد من استنفار كامل قواي.. وأنا ليس لدي ما أخسره في الجيب ليأتيني ما في الغيب، على رأي المثل كما يقول إخواننا المصريون... سفائني أحرقتها ساعة خلفت في هدوء البراري والفلوات إنسانيتي.. وأتيت دالقا لساني أنشد نعمة الوظيفة وحظوة الجاه..

هممت بطرق الباب.. وكأنما كان يراقبني ابن الذين.. أطل وانتصب أمامي كمارد... حاجب الإدارة على حدود الظلام الخفيف الباهت الغير المفهوم والغامض..

ـ قلت له صباح الخير يا أستاذ..

هز كتفيه

ـ سألته عن اسم الإدارة

حرك رأسه عموديا..

ـ أفهمته أني جئت من بعيد أبحث عن عمل..

حرك كتفيه وهو يرمق الجواب ويرمقني..

ـ استفسرته إن كان حضرة المسئول موجودا..

مط شفتيه تبرما واختفى..

ذاب وسط عتمة الأبهاء وتركني.. أحتضن نجاح سنوات العمر.. لا أدري كم غاب المهم أنه غاب دهرا بأكمله.. كانت خلاله الأرض تدور تحت شمس يونيو.. وغلال الكروم والفواكه تصطلي بصهد وحرارة شمس العنصرة..

وتذكرت يوم الخامس من شهر يونيو الجريح وذات هزيمة...

في الخامس من حزيران انكفأت الجيوش العربية وتفرقت شراذمها واندحرت فلولها..

في يونيو لم تعلق رقاب الجواسيس والخونة.. بل زينت بالنياشين والنجوم وجدائل الحرير..
في حزيران لا نجيد سوى لغة الخيانة والدموع..
من أين يأتي كل هذا الكم من الدموع.. وعلى شاطئ أي بحر تتلاطم هذه الأمواج من الحنين والأحزان والكوارث والخيبات.. وما اسم هذا البحر.. نحن لا بر لنا ولا بحر.. صدقت يا محمود يا درويش..
فمن لا دار له لا قبر له..
حزيران فاتحة الانكسارات..
يونيو بداية الخسارات..
تذكرت كل هذه الأشياء.. وتعجبت كيف تدخل هذه الهلوسات دماغي وفي هذا المكان المتمترس بالخراب..
رددت على الحاجب رغبتي.. حدجني باحتقار.. تأفف بضيق ومد يده لجرابي.. دقق جيدا في محتوياته.. نظر لكسرة الخبز السمراء والبيض المسلوق بتقزز.. وطرحه أرضا.. وقادني عبر متاهة الممرات.. وصلنا أمام إحدى الغرف.. اِستأذن قبل أن يفسح لي الطريق.. ترجلت خارجا / داخلا من ظلام البهو إلى حلكة أخرى اشد قتامة.. ليل قائم بذاته.. ليل أعمق من ليل.. ليل مولج في النهار.. لكنه أشد ألقا من ليل حقيقتنا الضائعة في ديناميس هذا الزمان الكئيب.. لم أحدد ملامح المكان الذي احتواني بداية الأمر.. هذا هسيس مروحة يصلني عن قرب وينفث هواء عليلا في وجهي .. وهذا فراش وثير يميد تحت قدماي.. تلفت بحذر شديد.. أمامي مباشرة يقف شخص فاحم.. تراجعت إلى الخلف.. صار طوله يوازي نصف قامتي.. راقبت الشبح من فوق، راقبني الشبح من تحت.. رفعت يدي أتقي لكمة محتملة... هذا ظلي معلق على الجدار يخاتلني... وظهرت من خلفه الملفات والرفوف والجوارير ترمقني ببرودة الجماد.. تركت الظل مشبوحا خلفي واستدرت بسرعة.. وجدتني أمام مكتب من خشب رفيع.. ومجلة وخيط دخان وكمشة ضياء منحسرة على الورق المشرع... تسمرت في مكاني أنتظر ما سوف تسفر عنه المجلة التي يحمل غلافها صورة لامرأة عارية.. لا شك أن وراءها بطل لا يكل من النزال.. الآن عرفت سر المثل القائل بأن وراء كل عظيم امرأة..
قفز إلى مخيلتي ما قرأته يوما عن شبقية الخليفة هارون الرشيد، عندما ضبطته زبيدة وهو يتلصص عليها وهي تستحم كما وضعتها أمها في بحيرة الصفحة 337 خلال الليلة 410 من ليالي ألف ليلة وليلة في مجلدها الثاني للمطبعة الشعبية ببيروت المحروسة.. ولما أبصرته أخفت فرجها بيديها خجلا فقال الرشيد والرواية للأميرة شهرزاد والشعر للحسن بن هاني من جملة أبيات:

(نظرتني سترته = فاض من بين اليدين)
كانت ملابسي ملتصقة ببدني ورجلاي تحملاني على مضض.. لم أنم طيلة البارحة.. ولم أطعم غير الغبن والخيبة والخسارات.. ولم أشرب سوى حليب النجوم وسهاد الليل.. ليل الطريق الطويل..
تحركت المجلة.. وظهرت رأس صلعاء حمراء شحماء.. وامتدت يد بضة ثخينة.. أزالت نظارات طبية عن عينين منتفختين ومحتقنتين من أثر النعمة.. ودعست دخينة في منفضة بلورية.. مددت يدي محييا.. لم تمتد لي اليد الثخينة.. ولم تمتد لأوراقي.. أفردتها أمامه.. لم يكحل عينيه بشهادتي.. صرف نظره عنها باحتقار وسلطه علي.. كانت ملامحه تشي بالكلل والبلاهة والكراهية.. طأطأت رأسي.. نظرت إلى هندامي متفحصا.. سروالي ليس مقلوبا وإن كان رثا.. وقميصي أيضا أزراره في مكانها وإن تآكلت ياقته.. تحسست أذناي وقفاي ومؤخرتي.. وخفضت له جناح الذل من المسكنة والبهدلة..
لم أتبين كيف أشار للحاجب الذي لكزني بذراعه.. جمعت أوراقي.. تبعته.. قادني عبر الممرات إلى قاعة أخرى.. فتح الباب.. دفعني وانصرف.. وجدتني إزاء صفوف من المكاتب فوقها أوراق وكؤوس وأباريق شاي وصواني وقناني فارغة.. بكرات صوف وهواتف.. وتحتها أزبال وقشور فول سوداني ودوار شمس وبذور قرع وأعقاب سجائر وغلايين ورائحة كيف وحشيش.. أشياء عديدة أهمها سحنات شاحبة وعيون مليئة بالأسى والإحباط..
مررت بخطاي أمام المخلوقات القابعة وراء خشب المناضد.. ذرعت أرضية القاعة.. طولا وعرضا .. وأوراقي بيميني.. كانت الغرفة مضاءة جيدا.. وخيط شعاع رفيع يمتد من كوة بأعلى الجدار إلى الزاوية السفلى المقابلة.. المغطاة بأكداس من الرسائل بعضها مفتوح وبعضها مغلق..
درت حول المكاتب نصف دورة.. وحول نفسي دورة كاملة.. أخذني دوار وغثيان.. افتعلت ابتسامة صفراء كي أداري بها خيبتي.. لم تتحرك المخلوقات.. ولم تفطن لوجودي.. كانت غارقة في خدمة هذا الوطن السعيد... أنا الأبله، الأجوف، الأحمق، الأخرق، الأهوج، الأهبل، الأناني، الانتهازي، الأمي، الإمعة، البائس، البخيل، البليد ، البشع، التافه، التعيس، الدنيء، الذليل، الجاحد، الجاهل، الجبان، الحسود، الحقود، الحقير، الخامل، الخبيث، الخسيس، الخواف، العاق، العبيط، العنيد، الغبي، الكافر، الكذاب، الكسول، الكريه، الرجيم، الرعديد، الصفيق، الضال، الضعيف، الظالم، السافل، الساقط، السخيف، السمج، السفيه، الشحيح، الشرير، الشقي، الفاجر، الفاسق، الفاشل، القبيح، القذر، القميء، اللقيط، الوصولي، الوضيع، النتن، النذل، النجس، النمام، النصاب، المأفون، الماجن، الماكر، المارد، المدعي، المجرم، المحتال، المخرب، المفتري، المفلس، المفسد،

المقامر، المقيت، الملحد، المنافق، المنحط، المنتفع، المعتوه، المعدم، المعقد، المغرور، المستهتر، المتهور، المتسخ، المتحامل، المتحذلق، المتخلف، المتعنت، المتعجرف، المتغطرس، المتناقض، المتهافت، المتمرد، المتجهم، المتسلط، السليط اللسان، العديم الحياء، ناكر الخير والإحسان، الآتي من مراتع البقر والحمير، لا أراعي الأعراف، ولا أعمل حسابا لاحمرار عيون الحكومة وسطوة ووقار الوظيفة.. أنا ابن ال (...) الفاعل التارك الذي لعبت بعقله تخاريف كارل ماركس ولينين وتروتسكي وتشي غيفارا وروزا ليكسمبورغ.. وملأت سفاهة الكتب التافهة يافوخه بفكرة الصراع الطبقي وديكتاتورية البروليتاريا والمساواة بين المواطنين وحقوق الإنسان والحرية والسلام والديمقراطية والأممية الاشتراكية والكومونات وتحرير الشعوب وثورات الفلاحين وإضرابات العمال والطلبة وحرب العصابات الطويلة الأمد وصداع الرأس..

توجهت نحو أحدهم كان قد صحا من النوم لتوه.. تنحنح وفرك عينيه.. وضعت أوراقي أمامه.. شرعت أفسر له أني أتيت من بعيد أبحث عن عمل كي أعيل أسرتي وأشد أودها .. نظر إلي محملقا.. ونظر إلى أصدقائه.. نظروا إلى بعضهم البعض بغرابة.. ونظروا إلى جميعهم بشماتة.. الرجال والنساء نظروا إلي بتمعن.. كما لم ينظر إلي من قبل الرجل الذي ولدني.. وضحكوا حتى أبانوا على النواجذ.. كانت أسنانهم مدببة وصفراء وعليها بقايا أطعمة.. كنت لا زلت ألغو.. قام أحدهم بتثاقل.. تمطط ، حدست من حركاته أنه يود التوجه إلى دورة المياه .. قصد الزاوية.. أخذ حزمة من الرسائل وخرج.. كنت لا زلت أتكلم عن أصلي وفصلي ونجاحي وفقري.. أول الأمر لم أصدق أذني.. حسبته أنينا أو شخيرا.. لكن حينما تكررت الزمجرة ارتعدت فرائصي.. كانوا قد بدأوا يكشرون عن أنيابهم.. وكانت وجوههم الصقيلة قبل حين.. قد كسيت بالحراشف والزغب وأذانهم استطالت قليلا.. وأضحت عيونهم حمراء كلهب الكوانين.. وشرعوا في العواء.. تراجعت إلى الخلف هلعا مرتاعا.. وقلت لخيلي ما قاله امرؤ القيس بن حجر الكندي: " كري مرة بعد إجفال ".. لم أتذكر تماما كيف خرجت من البناية. هل قفزت الأدراج.. أم انشق الاسمنت المسلح.. لكني أتذكر أني خرجت وحسب. وأني كنت أجري ولا ألتفت.. كان النباح قد أخذ يشتد ويرتفع وهو يتعقب أثري... والمارة ينظرون إلي ويتضاحكون.. وصلت إلى مشارف المدينة. كان العسس قد شرعوا في إغلاق البوابات. ودوريات الشرطة وفرق خفر السواحل تجوب المنطقة. وقبة السماء قد ازدانت بنجوم المجرات. والقمر حزين حزين... استلقيت على الأرض.. افترشت الأشواك، كنت متعبا وجائعا. سروالي تمزق. والعرق ينسكب من جسدي وثيابي مبتلة. وعروقي نافرة.. ورائحة الغبار ممتزجة بلزوجة الجسد المهزول.. كنت كجرو يخرج من معركة كلابية خاسرا مكسورا مدمى

وممزقا.. تذكرت إخوتي وأهلي.. وصحت في خاطري قرابين أمي.. شموعها ونذورها ودعواتها.. ووصايا أبي الصارمة ووعيده.. وأمنيات خليلتي ووعودها.. وصداقة الكلاب والقطط التي رافقتها ردحا من الزمن واقتسمت وإياها الخبز والملح.. وددت لو أقابلها وأعانقها وأسند عليها رأسي وأبوح لها بانكسارات العمر الجميل..

نزعت قميصي لوحت به للسيارات الآتية باتجاهي.. كان أربابها يمعنون في السرعة.. لا شك أنهم علموا بحكاية الفتي القادم من بادية الرحامنة ليعمل بالمدينة.. كنت ألوح بيدي وقميصي.. كان الظلام قد عم تماما.. وأضواء المدينة باهتة كالنمش تأتي من بعيد ولا تصل.. تغرق في لجة الأطلسي الأزرق المحيط المظلم الجميل السخي الودود.. وفيما كنت أتثاءب وأصيخ السمع لصياح الديكة وزقزقة الطيور وصوت آذان الفجر.. كان النباح يترامى إلى مسامعي ما يزال، يترصدني في الأحراش والغابات والوديان والفجاج المجاورة...

توقفت إحدى الحافلات على مضض.. ارتميت وسطها على عجل.. كانت ممتلئة عن آخرها.. افترشت أرضيتها المتسخة الباردة.. كان كل ركابها يتضاحكون.. وكنت بمفردي أبكي...

* نشرت القصة بجريدة العلم

مخامرات عباس الثالث

- إلى عبد الكريم العامري في بصرة الله

(والليل أسلم نفسه دون اهتمامٍ للصباح
وأتى الضياء بصوت بائعة الحليب وبالصيام
بمُواء قط جائعٍ لم تَبق منه سوى عظام
بمُشاجرات البائعين ، وبالمرارة والكفاح
بتراشُقِ الصبيان بالأحجار في عُرضِ الطريق
بمسارب الماء الملوّث في الأزقّة، بالرياح
تلهو بأبواب السطوح بلا رفيق في شبه نسيان عميق)
نازك الملائكة

كنت أجري ولا ألتفت....

ولا أذكر تماما كيف خرجت من البناية بعد أن اشتد النباح.. هل قفزت الأدراج أم انشق الإسمنت المسلح.. المهم أنني خرجت وأني كنت أجري ولا ألتفت بعد أن قلت لخيلي ما قاله امرؤ القيس بن حجر الكندي.. والمارة بأعدادهم الغفيرة يلتفتون ويضحكون ويتفننون في نسج شماتتهم على حساب خسارتي.. وأنا أجري ولا ألتفت.. والسيارات بكل أنواعها تزعق ولا تتوقف ليس في أحشائها ذرة من شفقة.. وأنا أجري ولا ألتفت.. والمدينة مدائن فوق مدائن فوق مدائن، وفي كل مدينة سكانها وحدائقها المعلقة.. وعلى شرفاتها ملابس داخلية تنز منها روائح الجنس ما تزال.. وأنا أجري ولا ألتفت.. وصلت إلى مشارف العمران.. كانت الحيطان مزخرفة بدماء موتى حقيقيين.. والعسس قد شرعوا في إغلاق البوابات.. ودوريات الشرطة وفرق خفر السواحل تجوب المنطقة.. كل ذلك شاهدته بأم عيني.. وأنا أجري ولا ألتفت.. وأبتعد عن سرة المدينة وأحتمي بالكلاب التي تتحرش بي.. ورجلاي تعجزان عن حملي.. والليل يتثاءب ثقيلا يلعق بلسانه وجهي ووجه المدى..

وأنا أجري ولا التفت...

لا أرض تحتي.. ولا سماء فوقي..
لا برودة.. ولا دفء..
لا حرارة.. ولا هواء..
لا شدو يمام فنقول صيف..
ولا طنين نحل فنقول ربيع..
ولا أوراق يابسة فنقول خريف..
ولا رذاذ مطر فنقول شتاء..
لا السماء سماء، ولا الأرض أرض
فقط شيء كرطوبة البحر وصلابة البر..
لا أشجار ولا نبات..
لا أسمي الأشياء حمائم فتطير..
ولا الأمكنة أنهارا فتهاجر..
ولا الأزمنة أعواما فتنزلق من بين أصابعي مخلفة حريقا في دمي..

وهذا الليل فصيح مسرج بآلاف النجوم الواجمة المطفأة والقمر الحزين والهواء المثقل بالأنفاس الكريهة وهوام الأرض وحشرات السماء والقوارض والصراطين والجعلان والعظايا والرتيلاء الصراصير الثعابين والحيات ذات الأجراس والضفادع المتربعة على عروش من غسلين.. الناموس والذباب البوم والغربان والخفافيش العقبان والكواسر والفراغ الجسور الناطق بآلاف الخشخشات وآلاف العيون المشعة الواجفة المليئة بالاحتمال والتوجس والحركات الغريبة التي أستأنس بها وتستأنس بي لمخلوقات مسكونة بالرعب مثلي..

شبيهتي في العزلة..
علاقتي الوحيدة بالوجود...
أنا أخيف أذن أنا موجود..

في الواقع لم أكن خائفا، لكنها الكلاب المدربة على قمع مظاهرات الطلبة وثورات الجوع وإضرابات الشغيلة والكادحين، والكلاب الشاردة والضالة والمريضة والمسعورة والجرباء والعمشاء.. وأنا - يا عباد الله - لست خائفا ولا الخوف يعرف سبيله إلى قلبي.. ولم أذق طول عمري كبد دجاج كي لا أخاف.. وشربت كميات من دم الهدهد وتيمنت بريشه.. بريش هذا الطائر المشاكس المطرود من صرح سليمان.. رسوله إلى بلقيس. الآتي من سبأ بنبأ عظيم.. لكن ما العمل والكلاب تترصدني في الأحراش والوديان والسهول والغابات.. والرياح تجري بما لا تشتهي سفني. ولم أجد ضميرا حيا واحدا ينقدني من ضائقتي.. وحده الراوي جعلني أنجو بأعجوبة. وأخذ بيميني وسيرني وفق خطة جعلت الكلاب الأشد شراسة تضل سبيلها إلي..

توقفت عن الجري.. استلقيت على الأرض وسط الشوك والصبار والسدر والعليق والعناب أراقب الفراغ السديمي المتشح بالعتمة، وأرنو لنزق الأمواج تكبحه رصانة السواحل، وأعد دقات قلبي، وأنصت للهاتي المتقطع، كنت متعبا وكريها وجائعا وبي عطش شديد، والعرق ينسكب من بدني، وثيابي ممزقة ومبتلة وعروقي نافرة، ورائحة الغبار ممزوجة بلزوجة أوساخ الجسد المهزول، كنت كجرو يخرج من معركة كلبية خاسرا ممزقا مدمى ومحبطا.. تذكرت إخوتي وأهلي وأصحابي، وصحت في خاطري قرابين ودعوات أمي، ووصايا والدي، وأمنيات خليلتي، وصداقة الكلاب والقطط التي رافقتها ردحا من الزمن وتقاسمت وإياها الخبز والملح.. وددت لو أعناقها وأسند عليها رأسي وأبوح لها بانكسارات العمر الجميل..

لوحت للسيارات الآتية باتجاهي، كان أربابها يمعنون في السرعة، لاشك أنهم سمعوا بحكاية الفتى القادم من بادية (الرحامنة) ليعمل بالمدينة، كنت ألوح بيدي وقميصي وجسدي وحواسي، وأضواء المدينة تأتي من بعيد ولا تصل، تغرق في لجة الأطلسي المحيط الازرق الجميل الشاسع السخي الودود.. وفيما كنت أسمع صياح الديكة وآذان الفجر، كان النباح ما يزال يترصدني في الغابات والسهول والأحراش والوديان، والخطر قاب قوسين مني أو أدنى من ذلك.. ومتانتي تكاد تنفجر والضراط على أشده.. وتلك القذارة التي يستعاض عن كتابتها خجلا بنقط سوداء هكذا (.....) كما يقول ميلان كونديرا في روايته الجميلة والشائقة (الخفة الغير المحتملة للكائن).. لكن لو كان كلام كونديرا يحمل محمل الجد لما كتب ذلك (الخراء) الذي يمتدح من خلاله ظل الفاشية والإمبريالية العالمية..

توقفت أحدى الحافلات، اِنقذفت وسطها على عجل كان كل ركابها يتضاحكون وكنت بمفردي أبكي...

وقبل أن أصدق أني امتطيت قارب النجاة..

وقبل أن أريح مؤخرتي العجفاء على الأرضية الباردة وسط الممر الضيق والمظلم..

وقبل أن أجازف بفتح باب السؤال..

كان الركاب يشرئبون بأعناقهم ويجاهدون بأبصارهم لرصد ملامحي.. ويطلقون أسماعهم لالتقاط نشيجي. كلهم يتكلمون ولا أحد يستمع ، وأنا مطرق حسير كظيم ومنكمش كقنفذ أرنو بارتياب لبريق عيونهم وشحمات آذانهم المعلقة في الفراغ.. والدموع تنهمر من المحاجر باردة سوداء مرة الطعم.. شاهدت من خلال الرموش البليلة جزمة مطاطية موحلة وعليها روث وتبن وبراز تكاد تصدمني... رفعت رأسي، وبالكاد ميزت شخصا سامقا مادا إلي بورقة لا لون لها..

سألته عن وجهة الحافلة قال: لا أعرف..
سألني عن وجهتي قلت له: لا أعرف..
لتكن وجهتنا جزيرة الواق واق المهم هو الخروج من هذه المنطقة..
تحركت الحافلة نحو الجنوب..
هل تعلمون هذا الجنوب غامر في رحلة بين الرمل والرمل..
خلخل الرمل حتى فاض فخرج..
تدحرج عبر النتوءات ولم يفرق بين السهل والوعر..
قلت فليكن الرحيل إلى الجنوب الحلزوني بن موحا وحمو بن عبد الكريم بن المهدي بن عمر بن جنبلاط عبر خارطة الوطن..
كان الجنوب يلف خاصرة الأطلس..
والأطلس يمتد كالسيف على ناصية مراكش..
ومراكش فاتنة تعشقها حوريات البحر الأزرق المتوسط القرمزية..
والبحر بين الألوان. غلالات الزبد. المد والجزر أعطى عطره لمراكش كما أعطت اسمها للوطن.. ومضى إلى ما وراء الشاطئ ليطلب اللجوء السياسي..
كلمة واحدة جعلت الحافلة تستأنف سيرها: رووووول...
ونفس الكلمة جعلت الركاب يلجمون ضحكاتهم ويستأنفون رطانتهم.. كنت كأني أعرف هذه الأصوات من قديم وأن الكلفة قد رفعت بيني وبينهم.. ما إن ينادي احد أحدهم:
- آآآلبهجـــــــا..
حتى يلتفت إليه سائر الخلق مجيبين:
- نعام آآآمـــولاي..
لكني لم أدع أحدا باسمه ولا أعرف أحدا حتى.. كنت جائعا وخائفا ومنكمشا في أثوابي الرثة المتسخة المبتلة والممزقة علها تفلح في منحي قسطا من الدفء والستر في هذه العربة التي تشبه زنزانة سجن عربي من كثرة ما تراكم فوق أرضيتها من أزبال وقاذورات..
- أنا قلت إن هذه الحافلة متسخة وقذرة كسجن..؟
- كلا.. أنا لم أقل ذلك. أقصد أن السجون عندنا ليست كريهة ولا رهيبة بالحجم الذي تتصورون. وليست صفراء ولا باردة ولا مقرفة.. ذلك كذب في كذب. ضرب من الكلام المغرض نسجه متحاملون بهدف الإساءة لسمعة الوطن السعيد. إن سجوننا بعكس ذلك نظيفة كسجانيها. والملابس مكوية تفوح منها روائح طيبة.. والبق والقمل والصئبان لا وجود لها البتة. ولا وجود للصراصير والجرذان والبراغيث والذباب. ولا وجود للخنافس في وجبات الفول والعدس والفاصوليا والبازلاء، بل لا وجود للبازلاء والفاصوليا والعدس والفول أبدا..

والمراحيض التي تقض المضاجع لا أثر لروائح البول والغائط بها. والجدران مطلية بألوان زاهية تشرح الأفئدة. وفي الأبهاء الماء والخضرة والأزهار والرياحين محج الفراشات الملونة حاملة الرعشات للأفنان ناقلة القبلات للأكمام.. وبها مسالك للصولجان وحلبات للفروسية. والنزلاء لصوص صغار صغار مهذبون جدا.. وجوههم تطفح منها النعمة ضبطوا فقط وهم يراودون لقمة خبز عن نفسها في سطوة جوع..

أما اللصوص الكبار. الدهاة. المرتشون. المهربون. المخربون. المحتالون. الحاقدون. المخادعون. المفسدون. المقامرون. المتسلطون. المتخاذلون. المتلاعبون. المستهترون. الأنانيون. المزورون. الماكرون. الخونة الذين يهربون الخيرات ويبيعون الوطن فتلك حكاية أخرى قد يسعفنا العمر أو لا يسعفنا للعودة إليها..

كان محرك الحافلة يهدر.. والناس يهدرون ويدحرجون الوشاية والنميمة بينهم.. وأفواههم تقذف سيلا من اللعاب وخيوطا رفيعة من دخان وروائح كريهة، ويطقطقون بتلاعب وحنكة علكة أمريكية..

ونحن نجتاز أنهارا ووديانا ..

لا هي بأم الربيع ولا سبو..

لا بملوية ولا درعة

لا بالنيل ولا دجلة..

لاهي بالعاصي ولا بويب

ولا هي بالفرات ولا بردى..

و(لا أحد يسبح في النهر مرتين) حقيقة استشعرها هيراقليطس..

وأنا وحيد كما ترون....

(مقطوع من شجرة)..

والليل في أشد حلكته وقد أقسم أن لا ينبلج..

والهم في أشد وطأته وقد أجزم أن لا ينفرج..

والناس أشكال..

أناس يحتضنون صحائف وثنية مغموسة في ماء السياسة..

وناس وثنيون مغتسلون بماء السياسة..

وناس وطنيون..

وناس سياسيون..

وناس ساسة..

وناس مسيسون

وناس سائسون..

وناس موسوسون..
وناس متعـبـون.. (مفتوحة عينهم)
وناس متعـبــون (مكسورة عينهم)..
وناس ثعابين..
وناس أجورهم كمؤخرة دجاجة منها تبيض وتتبرز وتـتـسافد..
وناس يؤجرون عيونهم..
وناس يؤجرون ألسنتهم..
وناس يؤجرون آذانهم..
وناس يؤجرون أكتافهم..
وناس مأجورون..
وناس أجراء
وناس لا أجرة لهم ..

وناس يتحدثون عن أصل الأجناس. وكيف خلق الله حواء من ضلع آدم.. وأول عملية قيصرية.. منذ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو..

وناس يتكلمون عن المساواة والديمقراطية والعدالة بثقة في النفس عالية.. كأننا لم نتذوق هذه الديمقراطية ولم نأكلها شطائر شطائر. ولم نرعب بها أبناءنا حينما يمتطون شيطان شقاوتهم. وكأننا لا نملك العمارات والسيارات ولا نبني قصورا من الأحلام ولا نأكل في كل وجبة خروفا.. ولا نفترش ريش النعام ولا نلبس الحرير والديباج ولا ننام في أحضان الحوريات الحسان اللاتي لم يطمثهن إنس ولا جان..

كان اللغط على أشده.. وأنا مطرق أستمع واجما حافظا لساني بين مصدق وغير مصدق لما وصل إليه هؤلاء الناس من معرفة وتبحر في العلوم. أنا الوحيد الأمي الجاهل الحقير المعتوه الأحمق بينهم الذي لا يفقه شيئا. والظلام ظلمات.. ظلمة الجهل. وظلمة الحافلة. وظلمة الليل. وظلمة الزراية. وظلم الاحتقار.. وظلم الوحدة. ورأسي تكاد تنفجر من كثرة اللغط.. وفي كل لحظة تقف الحافلة، فينزل قوم وتصعد أقوام ساحبة وراءها عطالتها وأوساخها وأمراضها وفقرها المزمن، أفاعيها وقردتها وعاهاتها، وصوت الكمان يصر. كمنجات من فائض علب المعونات الأمريكية..

رفعت رأسي ، كانت ثقيلة كدمي.. وظهرت من خلال الرموش البليلة المراعي والحقول والمداشر والقرى والبيوت التي تتوسد فاكهة النساء. وفي الممر الضيق أخذت تتحدد ملامح الركاب.. من قبل كنت أميزهم من خلال حديث الرجال عن أشيائهم، ومن كلام النساء عن أشيائهن . والآن وبعد أن توضحت الرؤية فالرجال مجلبـبـون وبدون جلابـيب.. وعلى النساء آثار زينة، خليط من

بهارات وعطر كريه، زيوت ونيلة وحناء وسواك ومساحيق ووشم وحرقوص وأصباغ وصليل خلاخيل وأقراط وأساور. ومن بين الركاب إخوة عرب بأزيائهم الوطنية وأنوفهم المعقوفة.. لا شك أنهم وفدوا في مهمات رسمية.. يسرحون شعر عاناتهم ويمسدون حشفاتهم بأطراف أصابع متسخة. ويجرون وراءهم ككارثة جغرافيا مليئة بالانكسارات وتاريخا مليئا بالانتصارات لحروب انتصروا فيها ولم يخوضوها، مرورا بحروب الاستنزاف حتى عاصفة الصحراء..

تذكرت للتو قراءاتي المبكرة لكتابات الفقيه العلامة سيدي محمد النفزاوي رحمه الله وشجاعته النادرة وتتلمذي على يديه ونجابتي وسرعة إدراكي لما كتب..

توقفت الحافلة.. انقذفت منها.. كان والدي يقرفص بجانب العربة تحت سماء الرحامنة الزرقاء وشمسها الملتهبة، ويشير بذراعيه كأنما يحاور كائنات أسطورية.. قبلت رأسه وبادرني بالسؤال..

- هل ?
- لا ..
- هل?
- لا..
- هل?
- لا..
- هل?
- لا..

جملة :هل?

وحاصل:لا ..

استشاط غضبا وهو يتوعدني ويكيل لي اللعنات..

- كلب ابن كلبة..
- أكتافك كأكتاف البغل..
- ستفلح حينما يفلح أخوالك..

حتى أنت يا أبي تتنكر لي كهذا الزمان..

أنا ابنك عباس الذي انضحك عليه..

أنا عباس الذي الجوع والحرمان يعرفه..

عباس الذي قالوا لا ترجى من ورائه فائدة..

عباس الذي أغرقوه في المالح ليأكله القرش..

عباس الذي نسوه في أقبية المخافر لصلابة رأسه..

عباس الذي أرضعوه لبن حمير فأضحت الحمارة أمه بالرضاعة..

عباس الذي أرضعوه لبن حمارة فصارت الحمير إخوته من الرضاعة ..
عباس المتوحش في المزايا..
عباس المتوحد في الرزايا ..
عباس الشاهد..
عباس الشهيد..
عباس المتشهد..
عباس المستشهد..
عباس التشهد..
عباس الشهادة..
عباس المشاهد ..
عباس المشاهدة..
عباس الاستشهاد..
عباس المشهد ..
لكنك أبي يا أبي.. وإخوتي هم الذين..
ولو لم تكن أبي.. لافترقت وإياك في الطريق ولسلك كل منا سبيله..
كنت مطأطئا رأسي خافضا له جناح الذل من الرحمة، أسابق ظلي ويسابقني، أسبقه فيسبقني، ويسبقني فأسبقه، وما نلبث أن نعلن حلفا ونتواطأ ضد الوقت والطريق والضجر كالخير والشر ، الصوت والصدى ، القوس والسهم، النار والشرارة، الجمر والرماد، والمد والجزر .. وأراقب الحقول ملجمة بالخراب.. والفزاعات بنت على هاماتها الطيور أعشاشها، وألسنة اللهب تتلوى في الفراغات السديمية، والناس يفرون من أكواخهم مخلفين النعمة والمجد والجاه، ويسفحون دماءهم لإخماد جذوتها بينما يؤججون العاصفة، والنساء يضاجعن ذئابا لها علاقات مشبوهة بتيوس مقنعة، وتحت ظلال الخرائب اجتمعت اللقالق لتناقش مشاكل الهجرة بينما الزمن ينسج حتفهم بخيوط من مصير سلالات بائدة.
وثمة تحت الشفق المضرج بأشعة شموس سادرة جلس رعاة بأسمال ملوك مشردين يداولون بينهم بشبق عقيم فاكهة محرمة، فيما استيقظت في داخلهم صداقات صاخبة لتماسيح أليفة، وينصتون بحزم لتخرصات رهبان إباحيين، فيما الجرابيع تجرجر بمؤخراتها كواكب نحو أفول سحيق.
والناس الذين أعرفهم وتوهمت أنهم يعرفونني يحاولون جاهدين إدخال جمل في قدر.. وحينما كنت أبتسم في وجوههم كانوا يشيحون عني بأبصارهم ويضحكون ضحكات غريبة تجلجل في أعماقهم كالزمجرة... والذين كانوا يكنزون الذهب والفضة ونذوب في وضاعتنا بحضرتهم يجمعون قشور الخضراوات من مزابل الفقراء المكتظة بالقطط والجرذان..

وفيما كنا نقترب من المنزل.. وفي رأسي تتضارب أشتات من عواء وعويل وأزيز وهدير وأهازيج غجر.. كان والدي يتكلم ويلوح بيديه لا يزال، ويتوعدني بالعصي التي أعد لي والحبال التي أودعها لرحمة الماء رأفة بي.. وكانت الكلاب التي ظننتها تعرفني وظننت أنها صديقتي، وكنت وإياها كسمن على عسل، تهر في وجهي بضراوة.. استحلفتها بالخبز والملح والذكريات الدفينة والعلاقات القديمة، ناديتها بأسمائها لكنها تجاهلتني وتصدت لي قطعانا قطعانا تستحل سفك دمي..

رميت بقجتي.. وأخذت أجري ولا ألتفت..
وال (....) يدق بعنف..
وال (.....) ينسكب من جسدي..
وال (.....) يشرشر على فخداي..
وال (.....) قد جف..
وال (.....) يسيل عطنا لزجا من مؤخرتي..
وال (.....) تطاردني بوحشية وتستبيح سفك دمي..
وأنا أجري ولا ألتفت..
وأنا أجري ولا ألتف..
وأنا أجري ولا ألت..
وأنا أجري ولا أل...
وأنا أجري ولا أ....
وأنا أجري ولا .....
وأنا أجري ول.....
وأنا أجري و.....
وأنا أجري.....
وأنا أجر.....
وأنا أج.....
وأنا أ.....
وأنا .....
وأن .....
وأ.....
و.....

* نشرت بجريدة الآنوار / أنوال

هكذا تكلم عباس الرابع

"... وعنكم أروي
عن أطفال الإسمنت، عن الفول المَسلوق على نغمات الغيوان بقيسارية الحيّ
عن النسوة إذ يتصفَّحن على مهل أدوات الزينة
عن جيل يولد في "الجِيرْكِ" ، وينشأ في "الرّيكِي" كَي يكبر في "السْميرْف"
ولا حول ولا قوة إلا بالعدس المسلوق وبالشاي البائت.... "
أعلنتُ عليكم هذا الحب - عبد الله راجع

1-دعوة لنبيذ الأحزان

إنه القحط ..

وحينما تحضر سنوات الجدب، يزورنا الفقر في سحنات الدراويش وأعينهم التي أذبلها رمد السنين وحولها كالجمر الخامد.. يحضر حاملا معه القمل والعمش وآلام البطن والأوبئة.. تجدب الجيوب وتفرغ نظراتنا للأشياء من مفاتنها وتصبح كالشبح الضامر، وتنزلق الابتسامات من شفاهنا كالصفير.. وحينما نحاصر أبجديته داخل فضاءات الذاكرة، نصرخ في عتمة النهارات الجافة مشتعلين شوقا لقطرات الماء، وتغمرنا الشهوة للتخمة، والوجبات الدسمة تذكرنا بفرحة اللقلق العائد من متاهات الغربة والحنين..

إليك أيتها الرياح الديسمبرية.. أرفع احتجاجي لأنك تزفرين بدون دموع.. وتجرفين بقايا السنين العجاف عبر أراض متآكلة بالعشق.. غبراء جرداء قاحلة كبطن ذئب أنهكه السغب..

أيها القحط.. أخمد نيران صخبي المحموم على عجل.. لأني أحلم بمعانقة دجاجة تؤدي ضربة مقص في بركة من زيت، أحول جسدها ريفا لجوعي المشبوه، واغتيال حزني الراعف من دماغ بلون اليأس.. إن ألوان اليأس باهتة كالذاكرة المعتمرة بالأوهام..

كم أمقتك.. كم أعشق رحيلك متدحرجا عبر قنوات دورات المياه والبالوعات من تحت أحزان أراضي الفلاحين المشبوحة على خرائط الحرمان..

قل إنك ترحل.. أيها القحط المريض بدوار الرأس وأنيميا الاخضرار والقيء والإسهال المزمن الساكن بمخاض الأعوام ومنعرجاتها..

قل: إنك ترحل دون رجعة، لك أوجاع المفاصل ومتاهات الغربة والحنين بكل الأزمنة المجبولة بالحرمان والممنوعة من الأفراح والمعمدة بالأحزان المعتقة وقرحة المعدة وآلام البطن وفقر الدم وبكاء الصبية والهزائم المتكررة والرهبة والخوف..

خذ قلما أيها القحط وسجل...

أشهد أني الموقع أعلاه.. دفعت بإخوتي للاشمئزاز وقمع الضحك والفتك بالطيور والأشجار... في الزمن الأسود تواعدنا كان القيظ ثالثنا والموت يخرج من أعماق المجهول بعكازتين وعينين من رماد نتآمر على سلامة مدن البدو بالغبار والنقع والجوع والحرمان... سأحزم حقائبي وأرحل، وإذا افتقدتموني، ابحثوا عني في مزابل الفقراء، ووجبات الفول والعدس ومدن الصفيح وأقبية المخافر وحكم الطوائف وحصار الموت وأمراض الصدر وطوابير القمل والسوق السوداء والقهر في وضع تسلل..

أيها القحط..

هذه السماوات هل تبكي..؟

هل في مآقيها يورد الياسمين ..؟

هل تهدينا الرياح ضفائرها..؟

ها أنا أبدأ الآن صقل ربيع جديد.

أنثر بهاراتي على ضفاف الكلمات.

وأسمو بالمعاني فوق سقالات العنفوان.

وأسلم لريب المودة طيفه..

عله يطلع من هشيم الخيال مخضبا بنفح الطيب..

وأتلو سورا من إشراقات النشيد المؤتمن على حمى الشوق الدفين مثل زهر وخمر..

أي شوق هذا الذي يشوي كذكريات نبتت ذات أصيل في دمن العري..

تفرز أجيالا من الخزامى وسريالا من اللهاث..

لنبدأ من هنا والآن..

ورويدا رويدا.. تبدأ وصلة رقصات قارية يفرزها ظل القراءة تحت لسان الحقيقة..

كي تطلع القصيدة..

2-حكاية التيه

لنحاول معا ترتيب هذا العالم من جديد.. بعد هذا البرولوغ الغير المنسجم مع نص يتوخى إدخال السرور والغبطة على قلب القارئ.. أنا عباس الرابع سليل المحرومين والبؤساء والمفلسين، أعرف مسبقا أني لو استنجدت بك أيها القارئ التعيس لسلبتني ما أملك، لكني والحمد لله أملاكي فائض من الأحزان والمآسي والنكبات.. أموالي نفذت منذ ساعة.. مخمور وربي وتعتعني السكر، لكني يقظ وحريص.. لا أعرف كم حانة غزوت لحد الآن لكني أبصر بدل الواحد عشرة.. وفي الساحات الواطئة أشباح تستمنيها الممرات والسراديب المعتمة.. أناس من كل صنف ولون، أقترب منهم ويقتربون مني.. وأصوات من بعيد تأتي لنماذج قادمة من أسن طفولة بائسة يائسة معروقة عجفاء ضامرة كالحة جائعة ذات متربة.. قفزت إلى دماغي قولة ثعلب ذلك الروائي الذي يتصور (لو أن هيمنغواي ولد في ابن مسيك لصار ماسح أحذية.. وهنري ميللر لو ولد في الحي المحمدي لكان على أكبر تقدير خرازا....) ، وتذكرت تلك اللوحة لصديقي عبد الله التي رسم فيها أطفالا يتطلعون لقمر أسود بشوق كظيم ونهم وجوع لا يوصف.. نظراتهم محروثة بالفراغ السديمي ومحاطة بسياج من الرغبات المحبطة والغامضة.. أتذكره ذاك المساء البعيد وهو يشرح لزوار المعرض الأغنياء نظرياته عن أقطاب السياسة ومصير الكرة الأرضية والصواريخ العابرة للقارات والقمم العربية والحرب الباردة والحروب النووية والمعارك المستقبلية... ويتكلم للزوار الفقراء عن الحرية وثورات الخبز والجوع وانعتاق الشعوب وأزمة التغذية والديكتاتوريات والبطالة والضياع ..

ذلك أن الفقراء يكتفون بالنظر والخشوع والإعجاب..
والأغنياء لا يحبون رؤية مظاهر البؤس والفقر في أبهاء قصورهم..
واقتناها شخص مسكون بسادية أبدية..
ذكيا كان صديقي..
ومرنا كنت أعرفه...
.....
.....
قال أحدهم بفرنسية مكسرة :
- لقد أغلق الله الصنابير.. سوف تأكلون (اليرني) كما أكلته سنة 1945
وقال آخر بأسنان مكسرة
- أكلت خبزا بدهان .. وحلمت ليلتها بأشياء وأشياء..

لكن ترى بماذا يحلم الأغنياء والصيارفة والمرابون والمضاربون وعقيلات الأعيان والقادمون من دمن حياة محنطة بالحرمان والكبت والجوع وأقراص الفياغرا.. هل أبحتم لأنفسكم مضاجعة امرأة في سن اليأس.. إنكم كمن يتوسد سجلا مفعما بأعراض مرضية أسطورية لا وجود لها... أتذكر الفتى العشريني الذي تبضعته عجوز في الستين.. كان يمارس معها ذلك الشيء بدون رغبة.. كانت بئرا غائرة مياهها تستنفر كل احتياط شبقها وشهيقها ورغبتها.. وتستعد بكل أوسمتها ونياشينها وتجاربها للصعود فلا تصل.. كان كمن يواقع بومة محتجبة في كهف مظلم.. كان يطمر تعاسة شبابه في شروخ عجزها المبهم..

كانت تمتص نضارة صباه بشبقية عقيمة..

لم تمت...

شاخ هو...

وعاشت هي 1000 سنة..

ولم يرث الذهب.

3-حكاية الفتى الساقط على رأسه..

أدركتني التخمة من أكل الغبار، ولما اختفى الدقيق من الأسواق طويت جهازي الهضمي ووضعته تحت رهن سنين التقشف والأزمة العالمية وانهيار قيمة الدرهم ومخططات صندوق النقد الدولي واتفاقية التبادل التجاري الحر.. فزكمتني رائحة الغائط.. ولما ذبت الزرقة في عروقي، قال والدي تلك رائحة البحر أتت تهديك سورتها.. إنك تتنبأ بسنين مرعبة.. لا تقصص هلوستك على أحد فتكيد لهم كيدا.. رفعت هامتي وتهاوت وتساقط زغب أهدابي، ورأيت الدنيا ضبابا وغيوما هلامية تهجع في فراغاتها طيور تنزح من حداثة الخرافة..

توجهت لدورة المياه.. كانت رائحة الحموضة تزكم الخياشيم.. ذكرتني للتو برائحة أقسام جراحة المسالك البولية.. على الحائط كانت هناك كتابات متنوعة عربية فرنسية إنجليزية وأمازيغية وطلاسم أخرى لم أفهمها.. تصورات وتخرصات ونظريات في الطبيعة والحياة والجنس.. معادلات رياضية، فيزياء، كيمياء، خطوط طولية وأخرى عرضية، خطوط متعرجة، صور لفتيات، فتيات عاريات كما ولدتهن أمهاتهن، صلبان وصلبان معقوفة.. حيوانات وأعضاء تناسلية، قبل وعناق وفروج، علامات الحرية، شارات النصر.. أسماء وأسماء فرق كروية ونتائج مباريات.. أشعار وأمثال وشعارات.. صراصير نمل وضفادع وسحليات وأعقاب سجائر وأوحال وأحجار.. فحم ويخضور..

تركت للعين حرية التمتع بهذا التشكيل وهذه الفسيفساء..

أية هلوسات هذه التي يختزلها هذا المبكى..
لم يكن في أمعائي شيء البتة..
كنت فقط أضرط وأتجشأ وأتسلى.. كانت هناك أجسام غريبة تخرج رؤوسها من فتحة الشرج، تمد ألسنتها المخروطية الشكل والشبيهة بالسباكيتي وتزغرد.. كان بالخارج شخص ينفخ في مزمار وآخرون يقرعون البنادير مؤدين وصلة عيساوية، وكانت الديدان الشريطية والدبوسية ترقص بدورها محركة ألسنتها كأنها امرأة تزغرد في عرس أو شخوص معلقة من أرجلها من حدقة مشنقة..
كنت أتلوى من ألم الفلفل الحريف ووجع الجوع ..
وكان العازفون يشحذون..
إنه الفقر..
وطني كم ظلموك..
وهم من فرط كرههم لنا ومن فرط سمنتهم.. ظلمونا وادعوا أنهم أهينوا، فسبقونا واشتكوا..
ونحن شكونا لك يا أ الله..
سلمنا بجاهك..
ويممنا وجوهنا تجاهك..
مزقت ورقة من مجلة باريسية يمينية، كانت تحمل الرقم 67 وعناوين تندد بالعرب.. آخ.. كم أكره هذا الرقم المشئوم وأرقام أخرى تنكأ الجراح.. قفزت إلى الذاكرة صور عن اندحار الجيوش العربية الشجاعة وهي تتولى مهزومة منكفئة متفككة متولية هاربة متفرقة في سيناء وصحراء النقب وشرم الشيخ ومرتفعات الجولان والضفة والقطاع.. خطب عبد الناصر الثورية، البلاغات العسكرية الوهمية بصوت أحمد سعيد ومحمد عروق التي أسقطت الطائرات وأحرقت البوارج، الأناشيد العنترية التي حررت الحدود من استوديو صوت العرب
وقف إطلاق النار..
نامت نواطير مصر عن عساكرها
وحاربت بدلا منها الأناشيد
مات أمل العرب..
مات الذي قال:
لا تصالح
ولو منحوك الذهب..
قال هذا الكلام وانسحب من الركح.. كفر قاسم دير ياسين تل الزعتر، اثنان وخمسون يوما من الحصار.. ثلاثة آلاف شهيدا استشهدوا.. آلاف الجرحى جرحوا، ستون ألفا من القذائف قذفت وكل شيء أضحى جرحا في الذاكرة، تبا

لبرودة الأرقام.. بيروت، بغداد، القدس، ملجأ العامرية، جنين وصبرا وشاتيلا، وحين هوت مدينة القدس.. استوطنت الحرب.. فيروز الشيخ إمام عيسى.. الرصاص القمع الموت السجون حريق الأقصى الغازات، الخلافات.. الخلافات.. السجون .. الحجارة ، الحجارة أصدق أنباء من الكتب.. لو كنت حيا يا حبيب يا ابن أوس يا ابن الحارث لما كنت تقول غير هذا.. لكن نم قرير العين فنحن بنو يعرب، ما زال الشعر لدينا هو ديوان العرب.. وأمراء البترول العربي من مواليد برج العذراء.. ويعشقون كما عهدتهم الليل والخمر والشعر بجميع ألوانه الأشقر والأسود الموزون والمسترسل على الكتفين والحر فوق العانة والإبطين ..

ضحكت في سري من هجانة هذه الأفكار وفي هذا المكان بالذات.. ولو لم أضحك لبكيت ، لكن قلت: ماذا ينفع البكاء.. فطالما بكى شعراؤنا على أطلالهم فتهاوت بعدما كانوا يتوقعون أن تصمد بوجه السنين والأيام.. لأتجلد فنحن العرب رجال نشامى أقوياء غلاظ شداد.. إذا أسرجنا وركبنا لا ننزل إلا حينما ينهق الحمار في البحر..

كانت على الصفحة صور عديدة منها صورة المستر جيمي كارتر مهندس السلام، وأنور السادات، ومناحيم بيغن ورونالد ريغن، وآل بوش الأب والابن والحفيد، إسحق شامير وغولدا مائير، أرييل شارون، وموشي دايان، فيديل بوكاسا جعفر نميري ورضا بهلوي، أدولف هتلر موسوليني وبينوشيه، الجنرال فرانكو سوموزا ونيكولاي تشاوشيسكو، أسامة بن لادن الملا عمر وجوناس سافيمبي بوجهه القميء الذي يشبه الضفدعة، أعضاء في منظمة الكونترا، رئيس المخابرات الأمريكية، رئيس شعبة مكافحة الشيوعية، أثرياء البوكر والنفط والكوكايين والكوكاكولا والبيبسي كولا والشوينغوم والماكدونالدز واللوطو..

لم أستسغ فكرة الاسترسال في قراءة الأسماء، أعتذر لمن لم أذكر أسماءهم.. بسطت الورقة، مسحت بها إستي، طمست معالم وجوههم صفرة الغائط ، طويت الورقة حولتها لمقبرة جماعية للأشرار والمجرمين والقوادين وحكام الموت.. وقبل أن يرتد إلي طرفي سلطت عليهم وابلا من البول، وأغرقت دينهم في طوفان من الحموضة والبهدلة.. وتركت الديدان تستلذ بأكل عيونهم...

* نشرت بجريدة العلم

هواجس عباس الخامس

(إذا رأيتم السحاب تطلع من المغارب، فللوقت تقولون إنه سيأتي مطر، فيكون هكذا، وإذا رأيتم ريح الجنوب، تقولون إنه سيكون حر، فيكون، يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه الأرض والسماء، وأما هذا الزمان فكيف لا تميزونه) كتابة قديمة مجهولة.

لا أدري على وجه التحديد لماذا أصاب بدوار الشوق كلما تذكرت الماضي، دوار تواكبه أسراب من الذكريات العتيقة التي تثير في النفس دفقا من الحنين حد الاكتئاب، وتتربص بي الأحزان الدفينة منتظرة انهزامي..

لا أود أن أشغلكم بمشاكلي الصغيرة أيها القراء، لأن لكل منا ما يكفي لصرع حصان، ولعل ذلك هو القاسم الذي يوحد بين بني البشر، نبتلع غصاتنا ، نخبئ الأتعاب إلى حين، نعتقها، نستقرئ أوجاعنا وعذاباتنا في عيون الآخرين، حيث لا وقت للتذكر ولا وقت للتنكر، ونكتمها حيث لا وقت لسماع الترهات، وحيث لا وقت هناك لامتطاء الذكريات ..

أما بالنسبة لي فتخامرني كتابة قصة تكون بدايتها:

باسم الله الرحمن الرحيم،
عندما تغيب الأمطار، يحضر الجوع العظيم لكل شيء، تتشقق الأرض ويغزونا الشوق للاضطهاد والسلب، وحده الماء الذي ينهمر كدموع الصبايا يمسح فائض بؤسنا وتعاستنا، ويملأ بطوننا، ويغسل أدراننا، حيث لا شيء غير الأمطار يشغل بال الناس، فحينما يدلف الوالد إلى البيت، يعلن بفرح طفولي أن رياحا عاتية تهب من ناحية القلب، والبرد يتسلل حادا من مسام الجلد متماهيا في العظام، باعثا فيها قشعريرة مريرة، والطيور تتقافز واجفة مرتجفة في المدى

الواسع باحثة عن ملجأ، والسحاب يتدلى من قبة السماء كبالونات تحيل الفراغ إلى براري أسطورية تتعرى في فضاء صاخب ككائنات تتدلى من حبل السرة.

إلى المنزل عدت، دخلت، سلمت، وجلست، واتخذت متكأ بين الحاضرين في " القبة "، كانت هناك جماعة، غرباء وأقارب وأحباب تنبعث منهم روائح الحقول والتراب والأنعام والألفة، الثوم والبصل والعرق، الشيح والزعتر والند، التين والزيتون والسمن البلدي، يوحدهم الجهل والفقر والقناعة وعشق الأرض وقلة ذات اليد، ليسوا أغنياء تماما ولا فقراء بالتمام، لكنهم ممن يكملون وجباتهم بالفلفل الحريف كما يتندرون، يتجادلون ويضحكون كي لا يتألمون من الألم والقهر والفاقة، وينتظرون الأمطار، لكنهم يقهرون الحياة بأشد أسلحتهم فتكا: الصبر والقناعة، غرباء والأب والعم وفقيه القرية، عالمها ومعلمها، حكيمها وحجتها وطبيبها، قارئ رسائلها ومفتي ديارها، يفتحون أبواب الإنصات، ويغلقون باب السؤال، ويتتبعون أحاديث مبهمة عن شروط الصوم والحج والنكاح ومبطلات الوضوء والصلاة، والإرث والزكاة وأنماط الإنتاج .

كان الفقيه يتكلم ويطقطق بأنامله على حبات شبيهة بجنزير العجلة، كنت أقرأ الخواطر على محيا الحاضرين جملا غير موقعة بالنطق، لكنها ممهورة بإيمان عميق بالأرض والإنسان والأشياء الحميمة والصداقات القديمة، وفي ساحة الذكريات متسع للجميع .. فيما ينبعث من الراديو المركون في الزاوية، صوت مطربة تتغنى عن قلبها الجريح المشوي بغدر الحبيب، وعمي يمرر الكأس على جبهته، فاغرا فاه غير فاهم لما تقول، يتجرع كأسه جرعة جرعة، محدثا مع كل رشفة قرقرة، ويتلمظ دافعا بالكأس على صفيح الصينية النحاسية ذات الأرجل المبرومة، وينفث من فيه خيطا من الدخان حلزونيا رفيعا كثيفا كسنين الجرب المثخنة بالجراح والأوصاب والظمأ والقهر المبين. بينما دماغي توشك أن تنفجر من كثرة سماعي لهذا الزفت..

كانت هناك كلاب.. بعضها باسط ذراعيه بالوصيد لا تكاد نظراتها تستقر على حال، وبعضها رافعة قائمتها الخلفية وتتبول، والبعض يشتم مؤخرة كلبة، وجراء تجري وتلهو، وجراء ترضع، كنت أرمي لهذه المخلوقات القانعة بين الفينة والأخرى بقطع من الخبز فتتعارك، وكنت أستمتع بهذا الهراش الأخوي، وأفكر في أن كلاب الفقراء تأكل خبزا جافا، وكلاب الطبقات المتوسطة تأكل خبزا مغموسا، بينما كلاب الأغنياء لا تأكل لا هذا ولا ذاك..

- زد الشاي والنعناع وهيئ لنا كأسا برزته.. لا شيء أحلى من كأس منعنعة من شربها يموت ومن لم يشربها يموت.
- إنه الجفاف بالأرض والقلوب، لا شيء يحلو هذه الأيام إلا هذه الكأس التي تجمعنا حولها قبل أن يطوح بنا هذا الزمن اللعين إلى المقابر ومدن الصفيح نستجدي من هم أقل منا صبرا..
- ويرزقكم من حيث لا تعلمون.. يقول مؤمنا صوت الفقيه
- عشت طول حياتي ولم أشاهد مثيلا لهذه الأيام!!. عقب آخر
- زمان ابن زمان..
- قل الحياء وفسدت الأخلاق وانعدم الرزق
- سبحان الله!! علق أحد الحاضرين
- قال الفقيه:
"أربعة في الدنيا ليس فيها أمان
البحر والنار والسلطة والزمان"
- لا أدري من أين يأتي هؤلاء القوم بمثل هذا الكلام، لا شك أن الخرافة لعبت بأدمغتهم، وقلت أشياء عن الأمية والجهل والقناعة، وأشياء أخرى لم أتذكرها
أغضب هذا الكلام أبي، وقال:
- على كبر سني لم أر جيلا بمثل هذه الأخلاق!!
- إنها علامة من علامات القيامة.. أردف الفقيه

لا زلت أتذكر ذلك اليوم الذي عدت فيه بالشهادة الابتدائية، كانت أمي تضحك وتزغرد وترقص، وزوجة عمي تلوي عجيزتها الوثيرة التي تشبه سلة البطاطا وتتمايل على طست الغسيل، والبيت تفوح منه روائح الطبيخ سبعة أيام بنهاراتها ولياليها..

"ضحكت لالة حتى بانو الأسنان
آربي
جوهر ما يدخل للدلالة"
هكذا تردد "فاطمة الزحافة"،
وكذلك كانت أمي، وجهها كاللجين كان، والجبهة قمر تموزي، القد زيتونة، والشعر كالسيسبان، والعيون واحة من الأمنيات، والجسد نهر من الليونة سبح الوالد في صفائه فاصطاد أحد عشر حوتا.

يقولون إن الحسن إذا زال تبقى حروفه، وأمي كانت أجمل فتيات الدوار على الإطلاق، لا تعرف الفرق بين الألف وعكازة جدي، ولا بين اللام وعصا الطبل، تصارع الفتية من أجل صفاء عيونها، هي الآن غزا الشيب مفرقها.

أمي يا حرارة الفصول
جميلة أنت كحلوة النبع
كاليانصيب وفض البريد
كالشوق المعسكر في الترائب
كانتهاء سنين الجدب
كأوهام الطفولة
واللقاءات الحميمة
هي ذي مفاتن المحبة
وفاتحة الهذيان
والعشق الطاعن في الغياب
واحتمالات اشتعال النشيد
لك أنت أعلن أني العاشق لكيمياء الحقيقة
وللأشياء البسيطة ألفتي
أتوحد في شهقة الكبرياء
وأسقط الصريع المتأجج على الرصيف
أراوح بين تضاريس هذا النزيف
في لغة تنادم في براءتها شحوب من يزرعون لهفتهم في حنايا الرغيف
لك المحبة ذاتها
والأشواق ذاتها
والحب ينشر أهدابه على هذا العشق الأليف.

كنت وقتها أستخف بمهن الجيش والتعليم والتمريض والبريد والتجارة والنجارة، وتصفعني كلمات الوالد، أكتافك كأكتاف البغل خير لك لو أصبحت دركيا
لكنه الزمن
يعطي اللوز لمن لا أسنان له.

كنت أعي أن أبي يهيئني للبيض، فالبقرة لا يمكن أن تلد إلا عجلا، والبطة تبيض فرخا عواما، والدجاجة لا تعطي ماسا، والكلبة تلد أكثر من أثدائها، والغني يلد طفلا غنيا، لكن الفقراء من أمثالنا كالقطط تأكل جراءها.

انتهت الأغنية، وانتهت النشرة الجوية، وانتهى قارئ النشرة الجوية، الذي كان يبدل قصارى جهده ليبدو حازما وصادقا، تحدث عن أمطار وهمية قادمة من ناحية البحر، ورياح تنطلق تدريجيا من الجنوب الغربي صوب الشمال الشرقي، وذكر في الختام وعلى وجه التمام أسماء مدن ومداشر ليختفي كما ظهر، وانطلقت من جديد أغنية عاطفية مملة..

أسكت عمي الجهاز بعصبية، وخيم صمت مريب على المكان، إلا من أصوات ممطوطة ترتشف سائلا مترعا بالهموم، وتنفث على إثر كل جرعة نصيبا من الأوجاع والتنهدات، بينما هم غارقون في بحور أحلامهم وأحزانهم المعتقة وآمالهم المحبطة.

كان عمي يرى الأسود أسودا، والأبيض أبيضا، وأن الله واحد لا شك فيه، والحج على أطراف مراكش، وتكفي بضع سويعات للوصول إليه، وفرنسا على مرمى حجر من طنجة، ويتوهم أن القرض الفلاحي قردا فعلا، وأن الكون هو الرحامنة، والأغاني إما حوزية أو لا شئ، إما "للشيخ بن حمامة" أو لا أحد، ويراهن على أن "عيطة بن كبورة آ سي احمد " تساوي وحدها كل هذا الركام من الأغاني، وأن الخمر حرام والتدخين حرام، والمشي من دون جلباب أو جلابيب حرام، والسرقة حرام والكذب حرام والغش حرام وحينما يكيل يوفي الكيل جيدا.

خرج الوالد ليعاين الطبيعة، كان الاضطراب الذي بات إلى حين يحرك لواعج الأمل في أعماقه قد انفرج تماما، وظهرت من خلال سجف السحاب زرقة السماء الصافية، وتسللت أشعة الشمس بمرونة بالغة لتلامس وتبلط بحنان لطيف كل الأشياء التي تقع عليها، وتبعث في نفوس الصبية المسرات والأفراح، وحدهم أبي وأمثاله كانوا يغارون منها، وكانت كل ذرة من نورها الوهاج تقع في عيونهم تثير في دواخلهم فيضا من الغيظ والتقزز والمرارة، اختصر الحزن طريقه إلى تقاسيمه، وشرد بخياله بعد أن استوت الشمس في قبة السماء شعلة من نار، ولاح على مرمى البصر عراء سهول الرحامنة بأحجارها وتلالها وخيامها ، حتما كان اليرقان يهجع في أوصال تلك الجمادات المستكينة السادرة تحت رحمة صهد القيلولة، والشجيرات التي كانت تفرق أغصانها الكالحة في الفضاء، وتسمق

لبضعة مليمترات لم تكن تلك الطبيعة تحرك سواكنها، فبدت رزينة كأصنام مرمرية في علب من زجاج. ثم دخل إلى البيت محملا بأسى ما رأى، ليروي لنا عن سنين الجوع والظلام والقهر التي عاشها في صباه دون أن يجد ما يسد به رمقه، ويبتسم لسنين الزرع والضرع الآتية لا ريب فيها.

كتابة أولى1982
كتابة ثانية 2014

رحلة عباس السادس
عبــاس البري

"يا سارق الشعلة
إن الصخب في السكون
فاقطف زهور النور، عبر الظلمة الحرون
نحن انتجعنا الصمت في المغارة
لأن نتن الملح لا تغسله العبارة
فانزل معي للبحر
تحت الموج والحجارة
لا بد
أن شعلة تغوص في القرارة
فارجع بها شرارة
تنفض توق الريح
من سلاسل السكوت
تعلم الإنسان
أن يموت ."
* أحمد المجاطي - كبوة الريح

*** إلى ضحايا قوارب الموت التي لا تعود ولا تصل**

(ذكرت وكالة الأنباء أن وحدات تابعة للحرس الإسباني ألقت القبض على مواطنين من جنسيات مختلفة في عرض السواحل الإسبانية بعد مطاردة دامت ساعات....)

في البداية كانت الأوجاع والمهانة والصقيع ونحن قاب فقر أو أدنى من باء وحاء وراء البحر والبحر على مرمى رغيف يابس يشتكي للجوع من غلبته وسوء طالعه يتقدم شارعا ذراعيه ونتقدم منه متلهفين لمعانقته تسبقنا رغباتنا ويسبقنا الدليل والدليل حذر متجهم يعرف هذه الشعاب حجرا حجرا ولا يعرفنا ورفاق الدرب ليسوا رفاقي ولا معارف أعرفهم من قبل طفحت همومنا حتى عجزنا عن حملها فجمعناها وتوحدنا في الطريق مذعنين لأوامر تحثنا على الإمساك عن الكلام والبكاء والسعال والتدخين وعدم المشي في أقصى اليمين ولا

أقصى اليسار وعدم الإبطاء والإسراع في الطرقات الملتوية على إيقاع مواويل النواطير وسط جغرافيا المنحدرات والمرتفعات والسهول ولفيف الأشجار الجرداء وخشخشة اليابس من الأوراق ونقيق الضفادع وجلجلة الصراصير ونعيب البوم ووعثاء الطريق والطريق مسالك والدليل يعرفها مسالك مسالك ونحن نجوس خلال كل ذلك متعوذين من الحشرات بخوص النخيل متسترين بعباءة الليل الكحلي خائفين من أن تصادفنا دورية ليلية أو ترصدنا مراصد الحكومة ومراصد الحكومة بلدية لها عيون تسقط الزرزور من فوق السور أو يلقى علينا القبض في ظلام الفيافي لنودع في ظلمات الثلث الخالي بتهمة التسلل خارج تخوم الإمارة وتخريب الاقتصاد العالمي وتحميل الميزانية الوطنية تكاليف إضافية من استضافة وإيواء ووجبات الخنافس المتبلة بحبات الفول والعدس والفاصوليا ونحن لا نود ملاقاة المالح سوى بقسط من الأسى والفرح الغامض كأعمى المعرة مستطيعون بدليلنا وهم مستطيعون بما أعدوا لنا من البصاصين والهراوات والسلاسل والزنازين والكوابيس والقهر والعيون العمشاء والحواسيب المبرمجة بالكذب والتزوير والولايات اللقيطة وسرقة أموال الغلابة من الشعب والفرمانات المزيفة والحروب الأخوية العدوانية الشرقية الغربية العشوائية التجريبية التخريبية العرقية الأهلية الضارية الشرسة الطائفية الدموية الثأرية القبلية الاستنزافية الباردة اللامجدية واللانفعية كل ذلك ونحن نتابع الطريق متبعين الدليل متسائلين في دواخلنا عن شكل البحر وحجمه ولونه وهديره ورائحته وعلاقته بإفساد الأخلاق وسر أحاديثهم عنه في أخبار النشرات كما يتحدثون عن السعالي والقناصلة والدليل المتجهم ينحدر ويصعد ويستوي وكلنا في أعقابه نستوي ونصعد وننحدر في الطريق الوحيدة والهموم المتوحدة والطموحات المتحدة في خفية من رجال الوقت وفي منتصف الليل البهيم الحالك الغامق البارد تماما كاللصوص والمهربين والقتلة وقطاع الطرق والبرد يصفر ويلوينا ذات الميمنة وذات الميسرة كأعجاز نخل حاملا إلينا رطوبة البحر الطويل المديد العميق الغامض الوافر الكامل المتدارك القريب ونحن نتقدم لا نلوي على شيء كأننا ذاهبون للاستجمام وللحقيقة فإن هؤلاء الفتية القادمين من عري البطولات المهيضة وأسفار التواريخ الكاذبة يودون الهروب من الفقر وأنا القادم من أسن طفولة مدموغة بالإحباط أود الهروب بجلدي مثلهم وإلا ما معنى أن تكون القملة بحجم السلحفاة وليلنا ليس كالليالي ما له صبح ونهارنا ليس كالنهارات لا له ليل وأجسادنا ذاوية ليس لها ظل حتى أصبحنا لا نفرق بين سواد الليل وإشراقة النهار نبني السدود ونعلي العمارات ونعبد الطرقات ونبصم على الكمبيالات وننذر أرواحنا ترياقا لسموم حواة السلاطين وعظامنا وشيعة لعرائس البحر يغزلن بها الفائض من بؤسنا وهمومنا وهذياننا المباغت وهم يسرقوننا ويقتلوننا ويحتقروننا

ويزدروننا ويسجنوننا ويجلدوننا وينكحوننا واضعين على جباههم نظارات سوداء كي يهربوا من صلصالهم يطقطقون بسبحات كجنازير العجلة وفي العجلة الندامة وفي التأني السلامة ونحن نروم سلامة الوقت نتبع الدليل والدليل يغذ السير متجهما حذرا ما يزال يحذرنا من عواقب الحلم والحنين والبوح والشكاة والنشيج والهمهمة والدمدمة ونحن لا نستطيع أن نعصي له أمرا أو نسأله حتى لأنه منعنا من السؤال ومن الكلام والتدخين والسعال ومن استعمال الأجهزة اللاقطة وإظهار أطقم الأسنان الذهبية والليل له آذان كما للنهار عيون والدليل الحذر ينحدر ويستوي ويصعد دافعا جذعه إلى الأمام كاتما أنفاسه مكتفيا بالإشارة واللبيب بالإشارة يفهم والأعشاب المحتكة ببرد البراري تحدث حفيفا ينضاف لحس الحصى تحت الأقدام وعواء الذئاب ونباح الكلاب في الدواوير البعيدة وأسراب الحشرات تدخل مساكنها كي لا تحطمها سلالة الرعاة والظلام مطبق تماما والنجوم تغمز في الفراغ السديمي والبحر يتقدم منا فاتحا ذراعيه ونتقدم منه لا نهمهم ولا ندمدم متلهفين لمعانقته مبتلعين غصاتنا كاظمين الغيظ مطرقين هكذا نجتاز المنحدرات والمرتفعات والمنزلقات والأحراش والمطبات حتى لامست المياه أقدامنا ولامست أقدامنا الماء تابعين الدليل المتجهم الحذر الذي انفرجت أساريره وافتر ثغره عن طقم أسنان ذهبي معلنا نهاية البر وبداية البحر ففغرنا أفواهنا وضربنا على صدورنا مبهورين بعظمته وقوته

(... وعمد المبحرون الذين كانوا على متن زورق صغير إلى القفز في عرض البحر وقت محاصرتهم.. وتم اعتقال الناجين منهم ، فيما بقي العديد من الأشخاص في عداد المفقودين....)

* نشرت بجريدة الأنوار /أنوال

رحلة عباس السابع
عباس البحري

"بلاد ألفنـــاها على كـــل حـــالةٍ = وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتُستعذب الأرض التي لا هوى بها = ولا ماؤها عـــذب ولكنهـــا الوطن "
شاعر مجهول

خرج الريس من بين الصخور وجلا مرتعدا، رغم طوله وعرضه.. لكنها الحياة كلبة بنت كلب تمنح اللوز لمن لا أضراس له.. تقدم منا.. تفحصنا.. عدنا.. وقادنا نحو قارب يهدهده الموج مكتوب عليه بالبنط العريض طارق بن زياد.. طبطب على ضلعه كأنه يداعب فرسا أصيلة.. دفعنا الزورق بتؤدة.. سألنا إن كنا نجيد السباحة:

- قلنا بصوت غنائي: من يركب البحر لا يخشى من الغرق..
- قال بصوت خفيض: باسم الله مجراها ومرساها..
- قلنا فليكن الرحيل إلى البحر الحلزوني بن ماجد بن صلاح الدين بن ناصر بن عبد الكريم بن المهدي بن عمر بن جنبلاط عبر خارطة الوطن..

وانطلقنا.. انطلقنا ببطء أولا ثم بسرعة.. واحتوانا المالح – عالم من الضباب والفراغ بلا تخاريم ولا أروقة.. بلا أزقة وشناشيل ولا أقبية.. وطارق بن زياد يئن وينساب بحمولته رشيقا (يشق حباب الماء حيزومه) كمطية طرفة.. ونحن بين ممدد وجالس طلقنا الخوف والمهانة والبهدلة.. طلقنا الهم والمسكنة.. يا أ لله.. كل هذه الليونة لإفشاء طموحنا وشقاوتنا.. هذا العظيم الذي لم يكن يوما وصيفا ولا زيرا ولا قوادا لأحد.. أحنى ظهره للسندباد البحري سبعا وعشرين سنة ، سافر خلاله سبع مرات كانت في واقعها أشد مرارة من ذكرياتها التي غنم منها سبعمائة مثقال من الذهب.. وغنمت الأميرة شهرزاد الجميلة شهرا من زاد الحكايات الجميلة وثلاثين فرصة للنجاة وولدين.. وفي عرضه أبحر نوح ويونس وعوليس وابن ماجد.. وطارق مر من هنا.. سلك نفس السبيل.. أبحر وخاطر وقهر البحر وأحرق السفن وقال (البحر من ورائكم والعدو أمامكم) وانتصر.. لا شك أن جنوده أتموا مشوارهم سباحة وغامروا.. ووصلوا إلى بر الأمان.. وحاربوا وانتصروا ونحن لا نود أن نرد على أعقابنا.. كأجدادنا المدحورين من الفردوس المفقود ، نريد منازلة هذا الخضم.. ضحكنا وتبادلنا النكات والكلمات..

وأذبنا ستائر الكلفة بيننا.. ومررنا كؤوس الماء.. وآثرنا بعضنا بالخبز اليابس.. وبللنا حناجرنا بعنب الفجيعة ومزة المجاملة.. ولم يخل سمرنا من فكاهة.. نروي النكتة ونضحك لها.. وقلنا (هنا الوردة هنا نرقص).. ورقصنا وتضوع الليل شذا ورقصنا، وحينما تمتلئ البطن توحي للرأس بالغناء.. فأطلقنا العنان لحناجرنا بالطرب والزغاريد والرقصات.. مزيج من كل فن طرب ولون.. وفي البحر يوجد ما لا يوجد في البر.. في البحر لا حدود ولا جمارك ولا قوانين ولا رسميات.. لا مقدمين ولا مخيرين ولا بوليس ، في البحر لا جوع ولا مبيت في العراء.. ونحن نريد منازلة هذا الخضم.. ولا نود أن نرد على أعقابنا.. وجنود طارق غامروا وانتصروا . وحاربوا . وخاطروا. ووصلوا إلى بر الأمان.. وأتموا مشوارهم سباحة.. وطارق قال (البحر من ورائكم والعدو أمامكم).. وأحرق السفن وقهر البحر وخاطر وأبحر وانتصر.. ومحمد ابن عبد الجبار النفري عندما قال في موقف البحر (هلك من ركب البحر ولم يخاطر.. وفي المخاطرة جزء من النجاة) انتصر هو أيضا.. ونحن متحدون في خساراتنا وانكساراتنا، عرب عرب عرب.. (تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم).. لم نركب البحر وركبنا رؤوسنا.. لم نخاطر وخاطرنا بوحدتنا.. لم نجرب وجربنا أحقادنا الدفينة وضغينتنا الحقيرة.. لم نحول المستحيل إلى ممكن وحولنا هزائمنا إلى انتصارات.. واساقطت من عرش السماء البلاغات المبوبة لحروب انتصرنا فيها ولم نخضها.. وبهرنا أعداءنا وعرضنا عليهم فحولتنا وفتوحاتنا الجنسية.. وأفشينا لهم ما تيسر من سيرة النفط الحزين.. وانهزمنا .. الله خلق الأرض في ستة أيام ونحن أضعناها في أيام ستة.. أي خراء هذا .. وأي تاريخ يثلج القلوب سوف نخلفه لأحفادنا وأجيالنا المقبلة...

كان البحر يلف خاصرة الأطلس.. والأطلس يمتد كالسيف على ناصية مراكش.. ومراكش فاتنة تعشقها حوريات البحر الأزرق القرمزية..

هل تعلمون...

أن البحار سبعة بحور.. بحر نيل، وبحر ميت، وبحر أحمر، وبحر أبيض، وبحر أسود، وبحر ظلمات، وبحر متجمد..

وله في كل بلد اسم، وفي كل أرض لون، وفي كل موسم ثروة.. وفي كل غضب ثورة.. وفي كل موجة طعم.. وفي كل معركة انتصار.. وفي كل سنة عروس..

وأن البحر أميرال الأنهار والوديان والبحيرات والجداول والمجاري والسواقي والمزاريب..

وهل تعلمون أن هذا البحر غامر في رحلة بين الرمل والرمل .. خلخل الرمل حتى فاض فخرج تدحرج عبر النتوءات ولم يفرق بين السهل والوعر..

والبحر بين الألوان.. غلالات الزبد.. المد والجزر أعطى لونه مراكش كما أعطت اسمها للوطن.. ومضى إلى ما وراء الشاطئ ليطلب اللجوء السياسي..

من بعيد.. بعيد.. بعيد.. ظهرت الأضواء المندلقة من فوانيس الحطابين.. باهتة كذاكرة معتمرة بالأوهام.. تهللت سحناتنا.. وغزتنا الفرحة.. وبدأنا بالصياح والزعيق.. سحب الريس نفسا عميقا كأنه يستطلع حالة الجو.. للبحر رائحة مغايرة لرائحة البر.. خفف من سرعة المركب.. نهرنا.. صاح في وجهنا.. وأمرنا بالتزام الهدوء والصمت.. والتهيؤ للنزول.. وبدأ الوداع والعناق.. كأننا تعارفنا منذ طفولتنا البئيسة .. اندفعنا لحافة الزورق حفاة عراة.. متسابقين مشجعين كأننا نود أن نفدي بعضنا.. وبدأنا القفز الواحد تلو الآخر.. ممسكين بقجاتنا.. متصلبين في رميم أجسادنا المهترئة بالطموح.. كان الماء باردا.. والليل باردا أيضا.. وأبداننا باردة أيضا وأيضا.. لم نرتعد .. لم ترتعش أطرافنا الباردة لملامسة الماء البارد في هذا الجزء من الطبيعة الباردة.. كأننا كلنا حللنا جسدا.. كان ذلك فوق إرادتنا.. أن تسبح ذلك شيء جد معقول.. وان تسبح في البحر فذلك شيء عاد.. وأن تسبح في الهزيع الأول من الليل فإما أن تكون مجنونا أو متلبسا بعفريت سليماني انعتق من قمقمه.. كان قلبي يدق بعنف والدم يغلي بشبكة العروق (كل ما أكلته المعزاة في الجبال تضعه اللحظة في السفوح).. وأنا كما تعلمون لا أعالي صعدت ولا سهول جبت.. ابن أمي .. مقطوع من شجرة.. لا جاها ورثت ولا ثروة خلفت.. لم يتركوا لنا أي شيء.. تبا لهم.. فرقوا المناصب والأرصدة والأوسمة.. وزعوا فيما بينهم البر والبحر والجو.. وتركوا لنا الإفلاس والجوع والعرق والنكد والقهر.. ليس لدينا ما نخسره.. وحين يممنا وجوهنا ناحية البحر نبذنا المجد والوضاعة.. مجد البهدلة ووضاعة القناعة.. وأبحنا لحيتان المحيطات طفولتنا الكئيبة وعمرنا المنحوس. سوف تولم بأجسادنا أسماك القرش – تطاردنا ككلاب ضالة.. وتصطادنا كفريسة.. لا يهم المصير.. ما دام القبر بطن الحوت.. فقبر غريب خير من جيوب خاوية كما يقول جدي.. وأنا أود أن أقهر هذا العظيم.. وحيد وسط اللجة.. عار وأعزل.. المزق التي أسميها تجاوزا ملابسي وتتبرم من حالتها فوق جسدي ضاعت مني.. والصحاب افتقدتهم بدورهم.. لم أودعهم حتى.. أضرب الماء بكلتى يدي.. والماء حينما يتوالى عليه الضرب لا يزداد سوى صلابة..

" قلبي جا بين ايدين الحداد / والحداد ما يحن ما يشفق عليه.
يردف لو الضربة على الضربة / إلا برد يزيد النار عليه "....

هكذا يقول شيخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب في رباعياته.. إنسان عركته الحياة وهمشته وازدرته وجعلت منه مجنونا يلغط بالحكمة.. منذ اليوم لن أشرب

الشاي ساخنا تنعقد في حاشيته اليعاليل والفقاقيع كعيون الديكة.. ولن أرتشف كؤوس الزنجبيل يتطاير منها البخار.. ولا عبوات البيرة الندية كبحيرات استوائية.. منذ اليوم لن أشنف مسامعي بأغاني أم كلثوم والشيخ إمام وفيروز والحسين السلاوي وبن حمامة وناس الغيوان.. ولن أرقص على أهازيج شيخات الحوز والرحامنة ولن أطرب لإيقاع الرقص المجنون فوق طست الغسيل.. ولن أقف في طوابير التشغيل كأني أمام ماخور.. كنت أتذكر هذه الأمور التافهة وأنتحب.. أنشج.. وأجهش بالبكاء كامرأة داعرة.. منذ مدة لم أبك.. لم أذرف دمعة.. حتى جفت مآقي العين وتكلست أملاحها.. زعموا أن الدموع للنساء فقط، تكررت هزائمنا وحولناها لانتصارات باهرة على أعداء وهميين كي لا نبكي ولا تبتل لحانا وشواربنا.. كانت الدموع.. دموع العين.. دموع الغربة والمذلة تسيل عصية باردة ومالحة وتختلط ببرودة وملوحة مياه البحر.. أسقيه دمعة دمعة ويسقيني جرعة جرعة.. والعطش يلهب حنجرتي.. عطشان يا بحر.. والماء حولي وتحتي.. (ستعلم إن متنا غدا أينا الصدي) .. فاستعطفته بأيام الطفل والمرأة والشهيد والغابة والصحة والعدل والأرض والإنسان فهاج واستحلفته بأيام اليتم والدعارة والغدر والاحتراق والأوبئة والظلم والاغتصاب والقهر والاسترزاق فزمجر.. وكان البحر الأبيض الذي له دون البحار فضائل يراقص الحيتان على إيقاع موسيقى الموج الهادر..

كانت الأمواج عالية.. عالية كانت الأمواج كالجبال بلا أعمدة ولا سواري.. حلبة سباق لا ينقصها سوى الخيل والحبة والبارود..

لا حدائق أشجار تخفي الشمس،

ولا قصور مزينة بالرخام،

ولا عمارات تطاول السحاب،

وأنا لست خائفا.. (إما أن أكون أو لا أكون، تلك هي المشكلة).. أنتصر أو أموت دون ذلك لا فرق.. أن أموت كجيفة خير ألف مرة من أن أهان .. ما شعرت البتة بأهميتي أكثر من اللحظة.. أضرب الماء بذراعي.. بما أوتيت من قوة.. بيدي ورجلي ورأسي بحواسي وفورة غضبي .. وأستريح.. وأتقي صفعات الموج.. يقولون إن مياه سبع موجات تزيل المس والسحر.. وأنا أسلمت نفسي للسعات أمواج هذا العظيم بأكمله، تضمد جراحات الجسد المهزول.. زال سحري ومسي وجنوني وعقلي وطارت عصافيري.. أتصدى لفلول الموج المتراكضة.. وأخبئ نفسي تحت إبط العاصفة.. وأعاود السباحة.. وألهث ببلاهة.. وأعب الماء كما لم أعبه من قبل.. وأتوقف.. أستريح .. أتلفت حولي.. أحدق في الفراغ والظلام.. وأصيح بأعلى صوتي على أصدقاء لا أعرف أسماءهم وأصيخ السمع.. فلا يجيبني سوى الصدى مبحوحا متقطعا متعبا.. وطبطبة الماء ووعيد

العواصف.. وهدير الموج يدفعني ويجرني، يغمرني ويسحبني، يرميني ويتلقفني، يبسطني ويقعدني كأني بين يدي محقق.. أتصبب عرقا!!.. أتبول وأضرط وأتغوط.. وألهت من شدة الإعياء والتعب والجوع والعطش.. وأنا وحيد.. أستميت بوجه الزوبعة.. حتى خارت قواي.. وأصابني الدوار والغثيان.. والكثرة تغلب السبع.. والحيتان تحتك بي.. أحس حراشفها الناعمة.. وألسنتها تلعق جلدي المثخن بالأوساخ اللزجة.. وتخزرنى بحدقات بلورية لا يعرف الخوف والخجل طريقا إليها.. تقرب خياشيمها مني.. تتشمم نتانتي المقرفة وتنصرف مشمئزة لا مبالية طرية براقة لا تطال وسط الأروقة المرجانية.. وأنا ألطم الموج المتلاطم.. أضرب الماء فينكسر تحت قبضتي.. أمسكه بكلتي يدي فلا أفتحهما إلا على الزبد.. وأنظر إلى سطح البحر.. مدى مسكون بالاحتمال والتوجس.. غابة سوداء مترامية الأطراف.. منبع إلهام (هايدغر) وعالمه السحري المحدود.. لو كان غابة حقيقة لعملت حطابا أو زرعته غلالا.. لكن ليس بيدي حيلة، (كل مكان هو صحراء لمن هو وحيد..) هكذا قال تشيخوف.. وأنا خادمكم العبد الضعيف سليل الفقر والنحس والجوع.. منذور للخسارة والجراح والضياع.. امتطي صهوة الموج.. لا أميز بين يدي ورجلي.. متعب وكريه وحقير.. لا فوق الأرض ولا تحتها.. كأني معلق من حبل السرة.. هكذا بين البين.. بين أجواء السماء وعرش الماء.. مشدود للأعماق والقرار.. معانقا (عدوا ليس لصداقته بد)..

هنا...

حيث الفجيعة تتنكر ببراءة الدلافين..

وحيث الظلام يورق في أعماق الليل كفظاعة..

وحيث الأسماك المؤرقة بسهاد النوارس..

وحيث كتائب الموج تتقدم كفصيل إعدام...

وحيث الموت يبادلني أنخاب القطيعة..

استسلمت لغواية الصعود والهبوط.. واستهوتني عملية التأرجح والمراوحة والحدس الرياضي الذي يمكنني من مقاومة هذا الصراع الميتافيزيقي الذي يجرني إلى أسفل ويبقيني في نفس الآن على وجه الماء.. محاولة يائسة أستطيع على الأقل أن أدالس بها مكر ونبض البحر ولو إلى حين مجيء الصبح..

- هل يمكنني تصور أن ما مضى خير مما هو آت؟؟..
- وأن أعماق هذا البحر أكثر رقة ولطفا من قساوة أهل الأرض؟؟

هكذا إذن أنا.. ممثل ثانوي في دور هامشي في مسرحية فاشلة في ركح هجين اسمه الحياة.. لست متشائما أبدا.. لا وربي.. لدي رغبة أكيدة في أن أحيا حياة حرة وكريمة .. ومن أجل هذه الرغبة عقدت العزم على الصمود منذ خروجي من

الظلمات بوجه الموت .. يضربني الموج فأكيل له الصاع صاعين.. هم الذين قزموا هذه الحياة في عيوننا.. هجروا الأرصدة، وساوموا وفاصلوا في البلاد، ونهبوا الخيرات وزوروا الانتخابات.. وأنا وحيد..
أفتح أذناي وأصيخ السمع ، فلا أسمع سوى الهدير..
أسمع جعجعة ولا أرى طحنا.. صليل الصناجات ودق الطبول في أدغال إفريقيا..
أفتح عيناي وأمعن النظر ، فلا أبصر بالكاد سوى العاصفة تستكين على هودج الريح..
والريح تمسد أهداب الموج..
والموج يلوح بعمامته للصخور..
والصخور تدغدغني كزوجة أب ..
وأنا ممتشق أحلامي..
وأحلامي مبعثرة كملامحي..
وملامحي كسيرة كسيرة الدم النافر من وجهي..
ووجهي مليح كملاحة جرول بن أوس بن مالك..
وأملاكي الأتعاب والقمل والخسارة..
وحذائي مثقوب بحذلقة نواب الشعب.. ومسامي مليئة بالصئبان ورائحة بوليس الآداب.. ومتانتي تستمني بجلجلة ذات الخلاخيل.. المرأة الشهية.. الغادة ذات الغمازتين.. البهكنة التي تبيع زنبقتها بثمن بخس دولارات معدودة..
وخصيتاي متورمتان منذ باغت أمي الوحم ذات فاحشة على بالون مطاطي..
وجسدي مفرغ من تفاصيل الأحلام..
مشرع على الجوع والحرمان والمصائب..
والذل الذي سوف..
والأفراح التي لا..
والمجهول الذي قد..
والجراح التي لم..
والصبر الذي أصبح..
والسجون التي إن..
والليل الذي لا بد..
والمشاكل التي ليس..
والظلم الذي أمسى..
والأصابع التي لن..
والأمل الذي لا شك..
والكراهية التي ربما..

والاحتجاج الذي إذا..
والأمنيات التي لعل ..
والصبر الذي لو
وماء الوجه الذي س..

عند انبلاج الفجر.. لم يكن ثمة ما يشي بالحياة ما عدا الجوع والأوجاع والمغص المهانة والصقيع.. وقمر حزين حزين محمر العينين يطل بين نثار ليل مزنر بالخراب.. حضرتني أغنية انجليزية تقول كلماتها (إن شمس النهار بضخامتها لم تضئ نهاري ، فهل أنتظر قمرا يضيء ليلي).. انكمشت كجرذ.. كان الموج يهدر ويتلوى لا يزال.. ينجدل.. يتلولب ويرمح كأفراس جامحة.. يلحس بلسانه المليء بالزبد كثبان الرمال ويصلني رذاذه باردا مضمخا بالزنخ.. فتحت عيناي على سعتهما مشدوها، فأبصرتني منبطحا متمترسا بالصخور.. محاطا بأكوام الطحالب والقواقع والأصداف والعظايا وأسراب الجراد والنمل المجنح والبزاقات واليرقات والعلق والطيور والأسماك والرخويات والألواح. والأجساد المجزورة والسليخة التي ما تزال تنز دما وصديدا.... وأذناي مليئتان بالتراب.. ولساني مندلق ببلاهة كسلوقي.. أستشعر ألفة عميقة وحميمية لملمس اليابسة تحتي ولمذاق الرمال في فمي.. وجسدي موشى بالبثور والكدمات والأشنات الطحلبية والدماء.. وعار تماما كأني خرجت للتو من فرج أمي...

* نشرت بجريدة الانوار - أنوال

تراجيديا بزمن الحزن
او
محاولة لكتابة سيرة عباس

"وطني أيها الذئب المتلوي كشجرة إلى الوراء
إليك هذه " الصور الفوتوغرافية"
للمناسف والاهراءات
وهذه الطيور المغردة ، والأشرعة المسافرة
على " طوابع البريد"
إليك هذه الجحافل المنتصره
والجياد الصاهلة على الزجاج المعشق
ووبر السجاد"
محمد الماغوط - المصحف الهجري

-1
أوى عباس إلى فراشه مبكرا، بعد أن قرأ سورة من كتاب رأس المال ، كان يختزن مشاعر مضنية جدا ، لم يكن يرتسم على عينيه غير النعاس ، لم يأكل شيئا ، ود فقط أن يستريح ليمارس هجرته الأسبوعية ، كان يشبه إلى حد كبير أبطال الروايات العظيمة ، ويتراءى لمن يشاهده عن كثب انه صحيح معافى ، وكان في كل ذلك عاشقا أصيلا للموسيقى والشعر والفن التشكيلي ، و خيالاته تبدع له آمالا كبيرة، لهذا السبب ودون غيره تعددت نشاطاته ومواهبه
يكتب الشعر
ويرسم لوحات يستلهم ألوانها من الحيرة والضياع والهوان الجاثم على سحنات أبناء الريف ..
ويعزف على قيثارة صمم أوتارها من نياط قلبه ليفشي عذاباته
ويجيد الرقص على إيقاع موسيقى عيساوة
ويعطينا امثلة عن لوركا وبريخت وبيكاسو وجواد سليم جواد وطرفة
لذا اقتنى الجورنيكا وتحت بوابة فائق حسن وأغاني الغيوان وحفظ عن ظهر قلب معلقة طرفة.
حدث أن سأله أخي الصغير عن معنى الجورنيكا
أجابه الأكبر منه على الفور
- لعلها مكان سياحي
- وطرفة بن العبد

- ملك من ملوك الحبشة
غير أن جدي لم يعرهما اهتماما وشرع يترنم بقصيدة مراكش التي مطلعها :
في الأفق الشاسع انتشرت سرابا تدوسين صمت الفيافي وشريان قلبي،
تمرقين كانفلات الضوء وليونة الماء،
ناديتك حتى جف مني الحلق وتيبست الكلمات،
كانت الريح تمشط أهدابها وتصهل
فيما كانت الهضاب ترتجف من عفونة الخوف
الأبدي الذي اخبرني الوطن، الأم ، الحب انه يخرج من بين الصلب والترائب
فاختليت بها بحوار عن المجد
أشرت إليها فاهتزت فكنت أنت من استدارة الخبز، وتجويفة الجوع..

-2
المعروف عن عباس انه أول من فكر في نظرية التطور قبل لامارك وداروين حينما اعترف بأنه يقدس الحياة العائلية، ويعتبرها أكبر ورطة إنسانية في التاريخ، لأنها كما قال "فوكنر" السبب الحقيقي الذي سيخلد الجنس البشري ، فقدم إلى محكمة امن الدولة حيث اقسم عن عدم التفكير بهذه الأمور..
وسود مشروعا عن الاشتراكية العلمية بزمن الجوع ، لما هرب من أسر الوظيفة الحكومية التي تحيل المواطنين إلى عبيد نهاية كل شهر..
وكتب مقدمة عن مقدمة ابن خلدون سماها العبر من أخبار العرب ، دون فيها خلافات العرب وتخلفهم وخياناتهم ..
وتذكر الأخبار انه أول من انتقد قانون القانوني حمورابي بجريدة الثورة المحظورة فسيق إلى السجن حيث عاشر زمانا الجرذان والصراصير والجدران الصفراء الباردة
وكان اشد ما يكره سماع الاطلاقات ، والحكومات العسكرية لأنه يعتقد بأن العسكر يلجئون الى القوة للاستيلاء على الحكم ويعتبرون السياسة صفقة سرية لهذا فعالمنا جد متخلف ..
و يعتقد جازما بأن الفن تثقيف للذات ، لكنه داخل المجتمع الطبقي يصبح إمكانية طبقية أيضا .. وتقول الوثائق أنه مصاب بداء سوء التغذية وفقر الدم لذا كانت مفاصله وأوداجه متورمة

-3
الحياة لا تؤخذ إلا عنوة يا أبناء الحرام، هكذا يقول دوما، لهذا يحلم دوما بالزواج من فتاة شقراء ، فارعة الطول ممتشقة القوام ، حسنة المنظر ، بيضاء

اللون ، وسيارة كاديلاك ، لكن الحلم لا يتحقق أبدا كما يعلم جيدا، لان فقر بلاده يمنعه من ذلك ، لذا اكتفى بالزواج من امرأة طاعنة في الفقر ، كل جهازها حصير وصندوق خشبي وقدر ، لم يتخرج أبناؤهما من الجامعات والمعاهد مهندسين وجراحين وعلماء ، لكنهم شبوا فقراء وخماسين وقوادين يهانون ويضطهدون ويدفعون الرشوة..

- 4

حين هبط عباس إلى السوق الأسبوعي ، كانت أشعة الشمس قد شرعت في مهاجمة جحافل الظلام ، في منتصف الإسفلت توقف وأشار للمدينة ، ارتسمت على شفتيها ابتسامة صفراء ، وقتها غصت جنباتها بجلبة الناس الذين لفظتهم للتو أكواخ القصدير بسراويل قصيرة ممزقة ومهترئة ، وسواعد معروقة وبطون طاوية ، حزن أول الأمر لكنه استبشر خيرا حين رأى الأطفال يمرحون والعصافير تطير بخفة بالفضاء الأغبر، وواصل سيره..

في الطريق التقى صديقه دعاه لتناول طعام الإفطار لكنه أجابه: " ممنون ياصديقي لقد أفطرت أمس"

في الواقع والحقيقة مؤلمة جدا ، أنه لم يكن معه نقود كثيرة اشترى بها علبتين من السجائر ، وارتكن زاوية وطفق يعلن عن تجارته

فافوريت ، كازا سبور، ماركيز

كانت تلك عادته كل يوم يشتري أشياء غير ذات قيمة ، يعيد بيعها ليشتري أشياء غير ذات قيمة أيضا، كان بهذا أول من يؤم السوق وآخر من يغادره من الزبائن

- فافوريت كازا سبور

- قم

لم يعرف السبب أول الأمر ، ولما ود المعرفة أدمت أنفه أحذية الشرطة الخشنة

-5

في خضم الجهود المبذولة من اجل بناء الوطن السعيد وتقدمه وازدهاره وضمان العيش الشريف للرعايا ، آثرت الحكومة الموقرة القضاء على البطالة والأعمال الغير الشريفة ، ومحاربة بيع السجائر بالتقسيط لدورها السلبي في إفساد أخلاق النشء والتأثيرعلى اقتصاد البلاد ..

6- ملحوظة

هذا وقد امتنع المعني بالأمر عن التوقيع والإقرار بما نسب إليه وهذا عصيان وتحريض على الفوضى

7 – حاشية
بعدها مباشرة لم نعرف طعما للراحة وبدأنا رحلة الهبوط الى قمم الحرمان والضياع والجوع

1978/10/18

* نشرت بمجلة الطليعة الأدبية العراقية سنة 1979

الفهرس

- شكر.....
- إهداء.....
- تقديم.....
- البحث عن عباس.....
- تغريبة الفتى عباس الثاني.....
- مخامرات عباس الثالث.....
- هكذا تكلم عباس الرابع.....
- هواجس عباس الخامس.....
- رحلة عباس السادس.....
- رحلة عباس السابع.....

- **تراجيديا بزمن الاحزن.....**